جبابرة الإجرام

(رواية)

تأليف الروائية العالمية

أجاثا كريستى

ترجمة

كمال أمين

مكتبة مدبولى

جبابرة الإجرام

تأليف الروائية العالمية
أجاثا كريستى
كمال أمين
الأولى عام 2009:
: مكتبة مدبولى 6 ميدان طلعت حرب – القاهرة
تليفون : 25756421 – فاكس : 25752854
البريد الالكتورنى : www.madboulybooks.com
Info@madboulybooks.com
رقم الإيداع : /2008
977-208-000-0 الدولى : الترقيم
الناشر
مكتبة مدبولى
2009

الفصل الأول

حوادث غامضة

قال بوارو لصديقه هاستنجز وهو يشير إلى مظروف يحتوى على بطاقتين فاخرتين :

- إن خلايا الذكاء الرمادية فى مخى يا عزيزى هاستنجز تحتاج بغير شك إلى الراحة والاستجمام فترة من الوقت .. وفى اعتقادى أن الدعوة التى تلقيناها اليوم من اللورد هنرى مارتان جاءت فى الوقت المناسب .

فقال هاستنجز متسائلاً فى دهشة :

- هل اللورد من هواة الحفلات الساهرة ؟

- كلا على الإطلاق .. إنه سوف يقيم سلسلة من المباريات الرياضية فى قصره الكبير فى (سبرنجفيلد) .. وقد دعا لهذا الغرض طائفة من أصدقائه .. ومن المؤكد أننا سوف نقضى وقتًا ممتعًا فى ضيافة اللورد العجوز .. والرأى عندى يا عزيزى هاستنجز أن تسرع الآن إلى استبدال ثيابك وتجهيز حقيبتك حتى تستطيع اللحاق بقطار الساعة السادسة .

وكان مقدرًا للمباريات الرياضية التى أقامها اللورد مارتان .. أن تستغرق بضعة أيام .. فنزل جميع المدعوين ضيوفًا على اللورد .

والواقع أن عائلة اللورد كانت من العائلات الثرية المعروفة .. وكان اللورد نفسه من أشهر مهندسى البواخر فى بريطانيا .. كما كان ابنه الكولونيل دانى مارتان - الذى عاد أخيرًا من الهند - من أكفأ الضباط الممتازين فى الجيش الإنجليزى .

« « «

وفى اليوم الأول لبدء المباريات انهمك بوارو وهاستنجز فى لعب (التنس) حتى شعر بوارو بالتعب والإنهاك .. وأحس بحاجته إلى الراحة والهدوء .. فتوقف عن اللعب .. وسار بصحبة هاستنجز بعيدًا عن ضجة اللعب .. وضوضاء اللاعبين .

« « «

سار الصديقان معًا فى الأراضى الواسعة المحيطة بالقصر .. واستمرا فى السير دون أن يشعرا حتى توغلا بين الأشجار والأعشاب مسافة طويلة ..

وفجأة قال بوارو .. وهو ينظر وراءه :

- أظن أننا اجتزنا حدود الأرض التى يملكها اللورد مارتان يا هاستنجز .. وأعتقد أن حاجز الأسلاك الشائكة الذى وثبنا فوقه منذ لحظة .. هو الحد الفاصل بين أملاك اللورد وأملاك جيرانه ..

فوقف هاستنجز فى مكانه .. ونظر حوله .

وجد نفسه عند ملتقى طريقين .. ورأى أشعة الشمس الغاربة تضىء قمم أشجار الصنوبر .

شعر بالوحشة .. والانقباض .. فقال لبوارو فى وجوم :

- أظن من الأفضل أن نعود يا ..

فقاطعه بوارو فجأة :

- اسمع يا هاستنجز ..

واستولى على الشاب خوف غامض . فجمد فىمكانه .

وهمس بوارو :

- أصغ يا هاستنجز .. أنصت ..

وأمسك بذراعه .

وأرهف هاستنجز أذنيه فسمع ضربات أجنحة بعض الطيور فوق الأشجار وحركة أرنب برى يتواثب بين العشب .. ثم ....

وضغط بوارو على ذراعه بقوة .. وقال فى صوت خافت :
- هل سمعت ؟
وسمع هاستنجز وسط السكون الشامل صوتًا حزينًا .. عجيبًا .. بدا خافتًا .. ثم ارتفع شيئًا فشيئًا .. وعاد إلى الخفوت بالتدريج حتى تلاشى .
وساد الصمت العميق مرة أخرى .
واستمر هذا الصمت حوالى دقيقة .. والصديقان يصيخان السمع فى انتظار سماع ذلك الصوت الحزين .. العميق .. العجيب .. ثم خيل إليهما أن السكون قد تضاعف .. حتى كأنهما فى كوكب آخر يخلو تمامًا من معالم الحياة !!
وضغط بوارو على ذراع هاستنجز مرة أخرى وقال فى همس:
- لقد صدر الصوت من هذه الناحية .. أليس كذلك ؟
وأومأ بإصبعه نحو اليسار .
واشتد بهاستنجز ذلك الذعر الغامض .. فقال فى حيرة :
- لا أعلم .. لقد خيل لى أنه صادر من كل مكان حولنا .
قال بوارو :
- كلا .. إنه صدر من مكان فى هذه الناحية .. لعله نباح كلب .. أنا واثق من ذلك .
- لا .. إنه ليس نباح كلب .. أو صفير الهواء بين أغصان الأشجار لأن الجو عادى وهادئ .
- إذن صوت ماذا ؟!
فأجاب بوارو بصوت خافت :
- سوف نرى .
واتجه نحو اليسار .
وتبعه هاستنجز وهو ينصت باهتمام .. لعله يسمع ذلك الصوت العجيب مرة أخرى .

« « «

ومرا بين لفائف الأعشاب والأشجار .. وكان العشب يزداد ارتفاعًا .. والطريق يزداد انحدارًا كلما أمعنا فى السير .. وغاصت أقدامهما مرارًا فى حفر مليئة بالوحل .. ويحجبها العشب عن العين .
وأخيرًا وقف بوارو .. ورفع ساعده كأنما ليمنع زميله من التقدم .

« « «

كانا قد بلغا نهاية الطريق .. وأشرفا على شاطئ دائرى .. تنهض على حافته طائفة من أشجار الصنوبر .. وتقع وراءه بحيرة صغيرة تبلغ مساحتها مائتى متر .. وتوجد فى وسط هذه البحيرة جزيرة صغيرة تقع من الشاطئ على مسافة عشرين أو ثلاثين مترًا .
وليس عجيبًا أن يصادف الإنسان فى الريف الإنجليزى مثل هذه البحيرة فى وسط الأحراش والأدغال .. ولا أن يرى فى هذه البحيرة مثل تلك الجزيرة .
ولكن البناء المستدير الغريب القائم فوق تلك الجزيرة كان مما يثير الدهشة والعجب حقًا .
كان لهذا البناء سقف مسطح .. يختلف عن الأسطح المنحدرة التى تمتاز بها المنازل الإنجليزية .. وجميع الدلائل تدل على أنه شيد بالفولاذ وغطى بطلاء أبيض تزينه خطوط خضراء حتى صار أشبه بطراد حربى صغير .. أما النوافذ فكانت ضيقة .. ومن نوع النوافذ التى تطل منها أفواه المدافع فى الطرادات الحربية .
صفوة القول أنه كان لهذا البناء منظر عجيب .. يدخل الرهبة على النفس .. ويخيل للناظر إليه أنه أمام طراد أو مدمرة تتأهب لإطلاق النار من مدافعها .

« « «

وشعر هاستنجز - وهو ينظر إلى الجزيرة وما عليها - بمزيد من الحيرة .. والدهشة .. والذهول .

وجلس بوارو القرفصاء على الأرض .. ونظر إلى هاستنجز بعينين يتجلى فيهما الاهتمام .. وهم بأن يتكلم حين أمسك هاستنجز بساعده فجأة وهتف :

- انظر .. انظر يا بوارو .

ونظر بوارو ..

كان باب ذلك البناء العجيب قد انفتح فى تلك اللحظة .. وخرجت منه فتاة ترتدى ثوبًا بسيطًا عاديًا يكشف عن ساعديها النحيلين اللذين لفحتهما الشمس وفى يدها سوط .. وفى شعرها الأسود الفاحم المشعث زهرة بيضاء .

كانت وقفتها بذلك الباب وقفة حذر واحتراس .. وقفة الحيوان البرى .. الذى ينصت .. استعدادًا للفرار فى الوقت المناسب .

ثم أجالت البصر حولها .. وخيل إلى هاستنجز أنها تنظر نحوه .. فحبس أنفاسه .

وفجأة صدر ذلك الصوت المحزن العميق .. وخيل إلى الصديقين أنه صادر من كل مكان حولهما .. وابتدأ هذا الصوت خافتًا .. ثم أخذ يرتفع شيئًا فشيئًا .. حتى بدد السكون .

وظلت الفتاة تنظر باهتمام .. ثم خطت نحو الباب الذى خرجت منه فى التو واللحظة .. ولكنها ما كادت تضع قدمها على عتبة الباب حتى ومض من الباب والنوافذ ضوء أزرق يخطف البصر .. فغطت الفتاة وجهها بيديها كأنما لتمنع هذا الضوء عن عينيها .. ثم تبدد الضوء .. وبدا الظلام أشد حلكة .

وتلاشى ذلك الصوت العجيب .

واختطف الفتاة فى لمح البصر كما لو كانت قد تبخرت فى الهواء .

وفجأة رأى بوارو وهاستنجز .. رجلاً يجرى بطريقة جنونية على شاطئ البحيرة .

الفصل الثانى

شروع فى القتل

وقف هاستنجز بنافذة غرفته بعد أن استبدل ثيابه استعدادًا لتناول العشاء .

كان قد عاد إلى القصر برفقة بوارو بعد انقضاء موعد الطعام .. فوقف فى انتظار صديقه .. ليتناولا الطعام معًا .

وكان بوارو يقيم فى إحدى الغرف .. فى ذات الدهليز الذى تقع فيه غرفة هاستنجز .

وسمع هاستنجز أنغام الموسيقى الراقصة التى تنبعث من جهاز (الجرامفون) .. ورأى أشباح المدعوين وهم يرقصون فى العراء بين الأشجار فرارًا من شدة الحر فى جوف القصر .. وطرق أذنيه صوت الضحكات المنبعثة من أفواه الراقصين والراقصات .. ولكنه كان فى شغل عن ذلك كله بالتفكير فى الحوادث الغريبة التى وقعت فى الجزيرة الصغيرة .

تذكر ذلك الصوت العميق المحزن .. فمرت فى جسده رعدة قوية .. ثم تذكر الفتاة .. وذلك الضوء الأزرق الخاطف .. والرجل الذى شوهد يعدو على ضفة البحيرة .

وكان بوارو قد حاول أن يلحق بذلك الرجل .. ولكنه سرعان ما غاب عن بصره فى الظلام بين الأشجار .. وعاد بوارو إلى الشاطئ .. أمام تلك الجزيرة .. وخلع ثيابه .. واجتاز المسافة بين الشاطئ والجزيرة سباحة .. وغاب بعض الوقت .. ثم عاد يقول إن الباب مغلق .. وإنه من المستحيل الدخول من النوافذ الضيقة المشبكة بالقضبان الحديدية .

وسأل هاستنجز نفسه :

- ترى أين اختفت الفتاة ؟ هل دخلت ذلك البناء العجيب وأغلقت الباب وراءها ؟ أم أن مكروهًا أصابها فى مثل لمح البصر .. عندما ومض ذلك الضوء الأزرق الخافت ؟!

وإذا صح ذلك فمن ذا الذى أغلق الباب ؟ وماذا حدث للفتاة على وجه التحقيق ؟!

ومن الرجل الذى شوهد يعدو على شاطئ البحيرة ويختفى فى الظلام بين الأشجار ؟

وما الخطة التى سوف يعدها بوارو لكشف أسرار الجزيرة الصغيرة ؟

وإنه يفكر فى ذلك .. إذا بالموسيقى تصمت .. وإذا بالراقصين يصفقون ..

وهم هاستنجز بالخروج من غرفته .. ولكنه ما كاد يصل إلى بابها حتى سمع فى الدهليز صوت امرأة تقول :

- أهذا أنت يا دانى ؟

فأجاب الكولونيل دانى مارتان بسرعة.. وبشىء من الخشونة:

- آه .. أنت هنا ياكلارا.. لقد حسبتك ترقصين فى الحديقة.

فقالت كلارا :

- كلا .. ولكن أين كنت يا دانى ؟ وكيف اختفيت من حلبة اللعب ؟ إننى لم أرك حين انسحبت .

فقاطعها قائلاً بضجر :

- إننى سئمت الضجيج والصخب فى حلبة اللعب .. فانطلقت أنشد بعض الهدوء والسكينة .

- لقد كان الجميع يسألون عنك أثناء الطعام أيها العزيز .. ولكن ماذا بك يا دانى .. ولماذا تبللت أطراف سروالك .. وعلاها الوحل .. أين ..

فقاطعها مرة أخرى فيما يشبه الغضب :

- دعى بالله هذه الأسئلة يا كلارا .. إننى هربت من مضايقات الآخرين .. وأرجو ألا تضايقينى بالأسئلة الكثيرة .. إننى كنت فى الدغل .. فهل يقنعك هذا الجواب ؟

وسمع هاستنجز وقع أقدام ثقيلة تجتاز الدهليز ففتح الباب قليلاً .. ورأى الكولونيل دانى مارتان يقصد إلى غرفته .

كان شابًا نحيفًا .. طويل القامة .. محنى الظهر قليلاً .. يتحرك أحد أكمامه بانتظام مع حركة

جسمه .
ذلك لأن الضابط الشاب فقد ساعده الأيسر فى الحرب فكان كمه الايسر خلوًا من ذلك الساعد .
ومر دانى بباب هاستنجز .
وفجأة .. تذكر هاستنجز شيئًا ..
تذكر أن حركة الرجل الذى رآه يعدو على شاطئ البحيرة كانت تبدو غير طبيعية .. وأن جسم هذا الرجل كان يفتقر إلى التوازن .
ومن ذا الذى يفتقر جسمه إلى التوازن .. غير رجل فقد أحد ساعديه .. ثم تلك الأوحال التى تلوث سرواله .. والحذاء ؟!
إذن فالرجل الذى كان يعدو على شاطئ البحيرة لم يكن سوى الكولونيل دانى مارتان .. ابن اللورد مارتان !!
وبقى هاستنجز جامدًا فى مكانه .. حتى دخل دانى غرفته .. وأغلق الباب وراءه بعنف .. أما الفتاة فإنها بقيت لحظة بباب غرفتها .. والنور الكهربائى يسطع على شعرها الذهبى الجميل .
كانت كلارا دوين - خطيبة دانى مارتان - فتاة طويلة القامة .. نحيفة الجسم .. ذات عينين زرقاوين ساحرتين . وثروة من الشعر الذهبى الجميل .. وكانت فى ذلك المساء ترتدى ثوبًا حريريًا أخضر اللون .. يبرز تقاطيع جسمها الرشيق .
وقد رأى هاستنجز على وجهها - وهى واقفة بباب غرفتها - مسحة من الحزن والألم .. وأدرك أن خشونة خطيبها قد خدشت شعورها .. ولكنها ما لبثت أن دخلت غرفتها وأغلقت الباب .
وفى ذات اللحظة .. فتح باب آخر فى الدهليز .. وخرج منه بوارو فى ثوب السهرة .
وعندئذ لحق به هاستنجز .. وأخذ الاثنان يهبطان السلم ببطء .
قال هاستنجز بصوت خافت :
- لقد عرفت الرجل الذى رأيناه يعدو على شاطئ البحيرة .
- من هو ؟
- إنه دانى مارتان .
فلمعت عينا بوارو .. ولكنه لم ينطق بكلمة .
وهبط الاثنان إلى الطابق الأرضى .. وقضيا بعض الوقت فى مشاهدة الرقص .. ثم عادا إلى غرفة الطعام .
وأقبل كبير الخدم يحمل الصحاف .. فقال له بوارو بقلة اكتراث :
حدثنى يا بريان .. من صاحب الأرض الواقعة فى شرق أملاك اللورد مارتان ؟
فأجابه بريان :
- إن جارنا من ناحية الشرق .. هو السير هربرت مورجن العالم المعروف الذى كثيرًا ما كان يحاضر فى (جامعة أكسفورد) عن حفرياته والآثار التى اكتشفها فى قبرص .. وقد كان على جانب عظيم من الثراء .. ولكنه توفى منذ عامين .. وعرض قصره والأراضى المحيطة به للإيجار .. ومنذ شهر أو شهرين .. استأجر القصر والأراضى رجل يدعى شارلى كونج :
فقال بوارو وهو يزدرد الطعام :
- شارلى كونج .. إنه اسم غريب .. أليس كذلك ؟
فأرسل الخادم بصره نحو الباب .. ثم قال بصوت خافت :
- نعم يا سيدى .. إنه اسم غريب .. ومستر كونج يزعم أنه أمريكى الجنس .. وقد رأيته مرة واحدة .. ومن يرى ثيابه ويسمع لهجته .. يتوهم أنه أمريكى .. أما أنا فأعتقد أنه أجنبى أكثر منه أمريكيًا .. ولا أكون صادقًا إذا قلت إن له مظهر كرام الناس .. والواقع أن أشبه ما يكون

بزعماء الصين العسكريين ..
فقال بوارو بلطف :
- إنك وصفت الرجل وصفًا قويًا يا بريان .. وإذن فهو كأولئك الزعماء العسكريين .
ولمعت عيناه .. ونظر إلى هاستنجز .. فأدرك هذا أن ذهن صديقه قد جرى إلى ذلك البناء الفولاذى العجيب الذى يشبه الطرادات الحربية .
وسأل بوارو :
- ماذا عندك من الفاكهة يا بريان ؟
فقدم إليه بريان سلة الفاكهة .. وملأ كأسه بالنبيذ . وانصرف ونظر بوارو حوله .. وتأكد أنه لم يكن بالغرفة سواهما فقال :
- ماذا يحملك على الظن بأن الرجل الذى كان يعدو على شاطئ البحيرة هو دانى مارتان يا هاستنجز ؟
فذكر له هاستنجز الحديث الذى دار بين الضابط الشاب وخطيبته ..
وأشار إلى تلوث سرواله بالأوحال .
وهز بوارو رأسه وقال :
- ترى هل رآنا دانى ونحن .. آه .. أعتقد أننى لن أحرز فوزًا عظيم فى مباريات الغد .
وأدرك هاستنجز غرض بوارو من تغيير مجرى الحديث .. فنظر خلفه ورأى دانى مارتان واقفًا بالباب .
هتف بوارو بسرور :
- أهذا أنت يا بريان ؟
ودخل الكولونيل ببطء .. وجلس أمام المائدة ..
وأقبل بريان فى أثره .
وأصدر الكولونيل أمره إلى الخادم قائلاً :
- جئنى بدجاجة باردة .. وكأس من الويسكى .. ذلك كل ما أريده يا بريان .
ثم أجال البصر بين هاستنجز وبوارو وهتف :
- أرى أنكما جئتما بعد موعد الطعام .
فقال بوارو :
- لقد كنا نطوف حول القصر .. وانقضى الوقت بسرعة دون أن نشعر .. لقد رأينا فى الدغل كثيرًا من الأرانب البرية يا مارتان .. وحبذا لو نظمت لنا حفلة صيد .. كما نظمت مباريات (الكروكيت) .
فأطرق دانى برأسه .. ولم يتكلم .
كان المعروف عنه أنه يناهز الثلاثين من عمره .. ولكن الناظر إليه كان يعتقد أنه أكبر سنًا من ذلك .
كان أسمر البشرة .. مجعد الوجه .. ولولا مسحة من السخرية والمرارة ترتسم على شفتيه كلما ابتسم لقيل عنه إنه جميل الطلعة .. وسيم التقاطيع .
بوارو يتحدث عن مباريات ذلك النهار ..حتى عاد بريان حاملاً صينية عليها (دجاجة) وقد قطعت بمهارة .
وأخذ دانى يستعمل أدوات الطعام بيده المفردة بلباقة اكتسبها من كثرة المران .
وكانت عيناه السوداوان تلمعان من وقت لآخر .. وتدوران بين بوارو وهاستنجز .
لم يكن ثمة شك فى أنه يريد أن يقول شيئًا .. ولكنه يحاول أن ينتهز الفرصة الملائمة .
وعاد كبير الخدم مرة أخرى .. وفى يده صينية فضية صغيرة عليها بطاقة .

قال دانى بضجر دون أن ينظر إلى البطاقة :
- من صاحب هذه البطاقة يا بريان ؟
فأجاب الخادم :
- مستر شارلى كونج يا سيدى .
فصاح دانى ..
- من ؟ كونج ؟!
وتحول إلى الخادم بسرعة .. ونظر إليه بحدة كأنه يريد أن يبطش به .. ثم انطبقت شفتاه .. وارتسمت حولهما تلك الخطوط العميقة التى تشوه سحنته .
صمت لحظة .. ثم سأل فى هدوء :
- أين هو ؟
فأجاب الخادم :
- قد ذهبت به إلى المكتبة يا سيدى .
فنهض مارتان واقفًا .. وقال باختصار وهو ينقل البصر بين ضيفيه :
- أرجو المعذرة .
وانصرف من الغرفة .
وتناول بوارو قدحه .. وازدرد محتوياته .. وقال :
- أسرع يا هاستنجز .. أريد أن أرى هذا الزعيم العسكرى .
ونهض الصديقان على الأثر .. وتقدم هاستنجز إلى فناء القصر .. ونظر إلى باب المكتبة فوجده مغلقًا .. فرفع عينيه إلى بوارو .. ورأى هذا الأخير ينظر بإمعان إلى باب آخر مفتوح .
كانت الغرفة التى يؤدى إليها هذا الباب تسبح فى ظلام دامس .
قال بوارو بصوت خافت دون أن يحرك شفتيه :
- سر على مهل يا هاستنجز ..
واجتازا بهو القصر .. حتى إذا اقتربا من ذلك الباب المفتوح نظر بوارو وراءه بسرعة .. ثم أمسك بساعد هاستنجز .. ودفع به إلى جوف الغرفة المظلمة .. وأغلق الباب بهدوء .
فغمغم هاستنجز :
- ما معنى هذا يا ....
فقاطعه بوارو :
- صبرًا .. لا تتكلم ..
وقصد بوارو بسرعة إلى نافذة فى الغرفة تطل على الحديقة .. ووثب منها .. وتبعه هاستنجز .
قال بوارو وهو ينظر حوله :
- كان أحد الناس فى هذه الغرفة .. ثم وثب من النافذة كما فعلنا .
فقال هاستنجز وهو يلتقط أنفاسه بسرعة :
- لعله اختفى فى الغابة ..
- نعم .. تعال معى .. وسر فى هدوء .
وسارا بسرعة .. وفى هدوء .. وتوغلا فى الغابة .. ولاح لهما ضوء قوى ينبعث من سيارتين فى الظلام .
قال بوارو :
- هذه سيارة كونج بغير شك .
فأطرق هاستنجز برأسه .. وما كاد يفعل ذلك حتى سمع على مقربة منه صوت غصن جاف

يتحطم .
وضغط بوارو على ساعد هاستنجز محذرًا .. ثم بدأ يشق طريقه بين أشجار الغابة فى هدوء .. ومن خلفه هاستنجز .
واستطاع .. رغم الظلام الدامس .. أن يتبين هيكل السيارة على بعد بضعة أمتار .
وفجأة .. سمع الصديقان صوت وقع أقدام سريعة .. وكلمات هامسة .. ثم ارتفع دوى محرك السيارة .
ورأى هاستنجز رجلاً قصير القامة .. صغير الجسم .. نحيف الوجه .. قد أمسك قبعته بإحدى يديه .. وأمسك باب السيارة بيده الأخرى .. ووضع قدمه على سلم السيارة استعدادًا للركوب . لم يكن ثمة شك فى أن هذا الرجل هو شارلى كونج .
وهم (كونج) بالركوب .. واشتد دوى محرك السيارة .. وفى هذه اللحظة أفلتت من فم بوارو صيحة دهشة .. ووثب إلى الأمام .
أما هاستنجز فإنه بقى مكانه مذهولاً شارد اللب .. ولكنه استطاع رغم ذهوله .. ودهشته .. أن يتبين صوت الطلق النارى الذى دوى فى تلك اللحظة .. واختلط دويه بالضجة التى أحدثها محرك السيارة .
وتحركت السيارة .. وشعر هاستنجز بشخص يندفع وسط الأشجار المتعانقة كأنه يفر مذعورًا .
وتكلم بوارو من جوف الظلام :
- هاستنجز ..
- نعم .. ماذا حدث .. من هو ؟
- دعها تذهب ..
وأشعل بوارو عود ثقاب .. فرأى هاستنجز بين أصابعه مسدسًا صغيرًا .. وقطعة من الحرير الأخضر .
قال بوارو فى هدوء :
- إنها حاولت قتل (كونج) .. ولكنى منعتها فى الوقت المناسب .
فمر هاستنجز بلسانه على شفتيه الجافتين .. ونظر إلى قطعة الحرير بإمعان .. وعرف من أى ثوب تمزقت هذه القطعة فهتف:
- كلارا درين ..
فقال بوارو بهدوئه العجيب :
- نعم .. كلارا درين .. خطيبة دانى مارتان !!

الفصل الثالث

مفاجأة مذهلة

صب هاستنجز (الويسكى) فى قدحين .. وقدم أحدهما إلى بوارو .. وقال وهو ينظر إلى ساعته :

- الساعة الآن الواحدة إلا سبع دقائق .. هل ما زلت مصرًا على اقتحام هذه المغامرة الجديدة التى لا يعلم مداها إلا الله ؟

فابتسم بوارو وقال وهو يهز رأسه :

- الحق يا هاستنجز أن خلايا مخى الرمادية استعادت نشاطها خلال هذه الفترة القصيرة .

فقال هاستنجز محذرًا :

- ولكن يجب ألا يضرب الإنسان بالحكمة والحذر عرض الأفق .. إننى أشعر بأن هذا الرجل المدعو شارلى كونج إنسان شديد الخطر .. فأنا لا أحب منظره .. ولا أحب منظر ذلك البناء الفولاذى المريب الذى شيده فى وسط الجزيرة .. ولا أفهم شيئًا من كل هذه الألغاز .. والرأى عندى أن نأخذ بأسباب الحذر وننفض أيدينا من هذه المسألة .

فازدرد بوارو محتويات قدحه ببطء .. وقال :

- إن فى استطاعتك أن تنسحب فى كل لحظة يا هاستنجز .. أنا شخصيًا أرى رأيك فى الحوادث الغامضة التى مرت بنا .. فلست أعرف لها أول من آخر .. وحبذا لو تعود إلى لندن .

فقال هاستنجز بحماسة :

- لا معنى لهذه المراوغة يا بوارو .. أنت تعلم أننى لا أتخلف أبدًا فى منتصف الطريق .. ولكن أريد فقط أن أقول إننى لا أنظر إلى هذه المغامرة بعين الطمأنينة .. وإننى أشعر بأننا نلعب بالديناميت.

فقال بوارو فى زهو :

- يجب ألا تخشى شيئًا يا هاستنجز ما دمت مع هركيل بوارو .. والآن دعك من هذه المخاوف الوهمية وألق نظرة إلى الخارج .

كانا وقتئذ فى غرفة بوارو .. فنهض هاستنجز واقفًا .. وفتح الباب فى حذر .. وأجال البصر فى الدهليز .. وأنصت .

كان الهدوء شاملاً .. لا يعكره سوى (شخير) شخص ما فى غرفة قريبة .

وأغلق هاستنجز الباب بلطف وهمس :

- كل شىء .. هادئ .. وعادى .

فأطرق بوارو برأسه .. ونهض إلى حقيبته .. فوضعها على فراشه .. وكشف عن مخبأ سرى فيها .. وأخرج من المخبأ طائفة من الأدوات التى اعتاد على حملها فى الفترة الأخيرة لاستخدامها فى المواقف الصعبة والمآزق البالغة الخطورة .

وكان بين هذه الأدوات سلم من الحبال ينتهى بخطافين .. ومسدس أوتوماتيكى .. وقفازان من المطاط .. وحزمة من المفاتيح وقنبلة بها سائل سريع الانفجار .. وعلبة ملأى بأدوات يخيل للناظر إليها أنها أدوات أحد الجراحين .

ووضع بوارو هذه الأدوات على حافة الفراش .

وفى هذه اللحظة .. وبهدوء تام .. وبغير إنذار انفتح باب الغرفة .

« « «

عرف هاستنجز فى خلال زمالته الطويلة لبوارو كل أنواع المشاعر والانفعالات .. وتعرض فى مغامرات كثيرة لمفاجآت مذهلة عرف فيها كيف يثب قلب الإنسان بين ضلوعه فى بعض الأحيان حتى كأنه يريد الخروج من حلقه .. ولكنه لم يشعر فى أى موقف مضى .. بمثل ما شعر

به فى هذه اللحظة .. حين رأى الباب مفتوحًا .. ووقع بصره على القادم .
أحس بأن الحركة الدموية فى جسده قد توقفت .. وكان للمفاجأة ذلك التأثير الصاعق .. الذى يسلب الإنسان الشعور والحركة .
وقف جامدًا باهتًا .. وساد صمت طويل عميق .. بدده بوارو أخيرًا بأن قال ببرود :
- كنت أظن أن التجارب الكثيرة التى مرت بصديقى هاستنجز قد علمته أهمية إغلاق الباب بالمزلاج فى بعض الظروف .. ولكن هكذا شاءت الأقدار .
إن الإنسان فى هذا العالم يجب أن يتوفر بنفسه على أداء ما يهمه لكى يطمئن .. ويأمن المفاجآت غير السارة .
ألا ترين مثل هذا الرأى يا آنسة كلارا ؟..
وابتسم وأردف على الأثر :
- ولكن .. تفضلى بالدخول .. ماذا دهاك يا هاستنجز .. استيقظ يا رجل .. وقدم مقعدًا للآنسة كلارا درين .
فلم يتحرك هاستنجز .. لم يستطع حراكًا ..
أما الفتاة .. فإنها راحت تنقل عينيها الزرقاوين الواسعتين بين بوارو .. وهاستنجز .. والأدوات الموضوعة على الفراش .
كانت ترتدى غلالة حريرية .. ذات لون رمادى .. وقد وضعت يدها على صدرها لتمنع الغلالة من أن تكشف عن جيدها الأبيض الناضع .
ومرت بهاستنجز تلك الأزمة الهائلة .. التى خيل إليه معها أنه أصيب بالفالج .. ثم تدفق الدم فى عروقه بسرعة وتندى جبينه بالعرق .
كان يتوقع فى كل لحظة .. أن ترسل الفتاة من فمها صرخة مدوية توقظ أهل القصر وضيوفه .
ولكن الفتاة لم تصرخ .. بل تقدمت ببطء .. وأغلقت الباب وراءها وأسندت عليه ظهرها .. ونظرت إلى بوارو .. ثم إلى هاستنجز .. وانفجرت ضاحكة .
وجلس بوارو على حافة الفراش ووضع ساقًا على ساق .. وقال وهو ينظر إلى الفتاة بإمعان :
- هل تجدين أن الموقف يدعو إلى الضحك يا آنسة ؟
فكفت عن الضحك فجأة .. والتقت عيناها بعينيه .
قالت ببساطة :
- نعم .. إن الموقف يدعو إلى الضحك حقًا .. وهل ثمة ما يضحك مثل أن أجد لصين بين ضيوف دانى ؟ هل كنتما تتأهبان للعمل ؟
فأجاب بوارو بلطف :
- لسنا من اللصوص يا آنسة .. بل على العكس من ذلك .. إننى هركيل بوارو .. أعظم بوليس سرى فى العالم .. وهذا هو زميلى المستر هاستنجز .. ثم إن عملنا ليس فى هذا القصر .. بل فى (قصر مورجن) .. حيث يقيم مستر شارلى كونج .. الرجل الذى حاولت الليلة أن تقتليه .. وأخفقت فى قتله .
فتحركت عينا الفتاة فى محجريهما بسرعة .. وغمغمت :
- إذن فأنت الذى ....
فقاطعها بوارو :
- نعم .. أنا الذى منعتك من ارتكاب الجريمة فى الغابة .
فقالت وهى تنظر إليه بحدة :

- هذا ما خطر لى .. ولهذا جئت الآن إلى غرفتك .. لقد سمعت أصواتكما .. وأدركت أنكما تقضيان السهرة معًا .. فدخلت دون أن أقرع الباب كما تقضى بذلك أبسط قواعد اللياقة .. وذلك لأنى لم أشأ أن أزعج النيام من المدعوين .

كنت أريد فقط أن أسألك عما تنوى عمله .. فيما يتعلق بالحادث الذى وقع فى الغابة .

فابتسم بوارو .. وقال وهو يشير بإصبعه إلى الأدوات الموضوعة فى الفراش :

- يخيل إلىَّ يا آنسة .. أنه لم يبق لدينا الآن إلا أن نتساوم فنحن إذا أذعنا ما نعرف من أمر حادث الغابة ساء موقفك .. وأنت إذا تحدثت عما شاهدت فى هذه الغرفة ساء موقفنا .. وفى كلتا الحالتين سوف تنتهى (المباريات الرياضية)على غير ما يحب الكولونيل دانى مارتان .. أليس كذلك ؟

فلم تجب الفتاة فى الحال .. بل عادت تنقل البصر بين الصديقين .. ثم قطبت حاجبيها .. وظهرت على وجهها دلائل التفكير .

ولعلها انتهت أخيرًا إلى رأى .. لأنها ما لبثت أن تحركت من مكانها .. وتهالكت على أحد المقاعد .. وقالت تحدث هاستنجز وعلى شفتيها ابتسامة ساخرة :

- هل لك أن تعطينى لفافة تبغ يا مستر هاستنجز ؟

فغمغم هاستنجز :

- لفافة تبغ؟

فأجابت الفتاة الجريئة :

- نعم .. لفافة تبغ .

فأجابها هاستنجز إلى ما طلبت .. وهو أشد ما يكون ذهولاً .. وأشعل لفافتها .. فابتسمت له مرة أخرى وقالت :

- شكرًا لك .. وأرسلت من فمها سحابة خفيفة من الدخان .. ثم وضعت ساقًا على ساق .. وقالت تحدث بوارو :

- إننى أصدقك يا مستر بوارو .. وأنا على استعداد لقبول المساومة التى تكلمت عنها .. فلنتفق إذن على أن أكتم ما أعرف من أمركما .. وأن تكتما ما تعرفان من أمرى .

فقال بوارو :

- اتفقنا ..

ودهش هاستنجز وسأل نفسه :

- ترى لماذا قبلت المساومة العجيبة ؟!

وتذكر موقف الفتاة مع خطيبها.. وخشونته معها .. وفهم.. أو ظن أنه فهم .. لماذا قبلت كلارا هذه المساومة .. لا شك أنها كانت تريد أن تتجنب إغضاب خطيبها .

قالت الفتاة :

- نحن نسمع كثيرًا عن رجال يقاتلون من أجل المرأة .. ولكن المرأة يجب أن تقاتل من أجل الرجل الذى تحبه .

ولست أجد غضاضة فى أن أقول لكما إننى أحب دانى مارتان . وإن شارلى كونج قد صرف قلبه عنى .إن شبح كونج مرتسم أبدًا أمام عينى دانى .. وهو منه فى ذعر دائم .. نعم .. إنه يخافه .. وقد طرد الخوف من قلبه كل عاطفة الحب .. وقد تحدث إلى دانى الليلة بخشونة غير مألوفة ملأتنى همًا ويأسًا .. ولما علمت أن (كونج) قد جاء إلى هذا المنـزل لمقابلة دانى .. قررت أن أقتله .

وهو قرار جنونى .. ولكنى أردت أن أنقذ دانى مهما كلفنى ذلك .. أردت أن أنقذه من الخطر الهائل الذى يهدده فى شخص كونج .

وهنا إنحنى بوارو إلى الأمام وقال :
- هل تريدينا على أن نميط اللثام عن سر العلاقة بين دانى مارتان وشارلى كونج ! هل تريديننا أن ندفع خطر كونج عن الرجل الذى تحبين ؟ هل هذا ما تريدين ؟
فأجابت ببساطة :
- نعم .. هذا كل ما أريد .. ويجب أن تعلما - بهذه المناسبة - أننى لست امرأة فقيرة .. إنى على استعداد لأن أدفع ثمن خدماتكما .
فنهض بوارو واقفًا .. وقال وهو يبتسم :
- أصغى إلى يا عزيزتى الآنسة .. إن أبناء مهنتنا الذين يحترمون أنفسهم .. لا يقبلون أجرًا على الخدمات التى يؤدونها . ولكنهم إذا توفروا على أداء خدمة لإنسان .. فإنهم يؤدونها .. لأنهم يحبونه .. أو يعطفون عليه .. أو تهمهم مصلحته .. وعلى هذا الأساس.. أوافق على قبول المهمة التى تكلفيننا بها يا آنسة .
فسألت فى لهفة :
- هل تقبلان حقًا ؟
فأجاب بوارو :
- نعم ..
ثم نظر إلى ساعته واستطرد :
- والآن .. دعينى أقل لك ربما كان من الخطر أن تمكثى فى هذه الغرفة أكثر مما مكثت .. ونحن لا نريد أن يفطن أحد إلى ما بيننا من ..
فأطرقت برأسها .. ونهضت وهى تقول :
- نعم .. إنك على حق .. سأذهب فى الحال .
ثم نقلت بصرها بينهما .. وابتسمت .. ومدت يديها إليهما وهى تقول :
- ما أشد سرورى بما حدث الليلة .. إننى أشعر بأنكما ستنقذان دانى .. وتنقذانى .
وهنا أحس هاستنجز بالدم يلتهب فى شرايينه من فرط حماسه فهتف :
- اطمئنى يا آنسة كلارا .. إننا سنهشم رأس هذا الثعبان الذى يدعو نفسه كونج .
وصار بوارو إلى الباب .. وفتحه فى حذر .. وأجال البصر فى أنحاء الدهليز .. ثم دار على عقبيه وقال :
- كل شيء هادئ ساكن .. فى استطاعتك الآن أن تنصرفى .
ووقفت الفتاة بالباب بهدوء .. وودعتهما بابتسامة سريعة .. وانصرفت ..
وأغلق بوارو الباب بهدوء .. وقال وهو يتنهد :
- الآن .. قد ..
ولكنه لم يتم عبارته .. فقد سمع فى الخارج صيحة خافتة .. أعقبها صوت سقوط جسم .
ففتح بوارو الباب بسرعة .. وجمد فى مكانه .
رأى كلارا درين ممدة على الأرض .. أمام الباب .. وقد سكنت حركتها !!

الفصل الرابع

الإبرة المسمومة

نظر بوارو إلى الفتاة فى ذهول .. ولكنه ذهول لم يستمر أكثر من ثانية واحدة .

تحول إلى هاستنجز .. وقال له بصوت هادئ رزين يتعارض مع النظرة الهائلة التى ارتسمت فى عينيه :

- إنها لم تدخل هذه الغرفة .. ونحن لا نعرف من أمرها شيئًا .. هل فهمت ؟

فأطرق هاستنجز برأسه .. ولكنه لم يحول عينيه عن ذلك الجسم الصغير .. المسجى على الأرض .

كانت ممددة على ظهرها .. وقد انبسطت إحدى يديها على الأرض .. وأنثنت اليد الأخرى فوق صدرها .. واستحالت حمرة خديها إلى صفرة الموت .

ورأى هاستنجز .. على جبينها .. فوق عينها اليمنى بقعة صغيرة .

قال بوارو وهو يضغط على ساعده :

- أخف الأدوات الموضوعة على الفراش .. أسرع .

ووثب بنفسه نحو الفراش .. واختطف المسدس .. ووضعه فى جيبه .. ثم نظر إلى هاستنجز نظرة صارمة يحثه فيها على الإسراع ووثب إلى الخارج . وتناول هاستنجز الأدوات بسرعة البرق .. وأعادها إلى مكانها فى الحقيبة .. ودس الحقيبة تحت الفراش .

ثم قصد إلى حيث كانت الفتاة .. وركع بجانبها .. ووضع يده على قلبها بلطف .

لم يشعر بحركة ..

حار فى الأمر .. وأجال البصر حوله .. ولكنه لم ير أثرًا لبوارو..

ماذا يصنع ؟

ولم تدم حيرته طويلاً .

رفع الفتاة بين ساعديه بلطف .. ودخل بها إلى الغرفة .. ومددها على فراش بوارو .

وإنه لا يزال منحنيًا فوق الفتاة .. إذا به يسمع صوت أزيز عجيب يخترق الهواء بالقرب من أذنه ..

خلص ساعده من تحت جسم الفتاة .. ونظر وراءه بسرعة فوجد الباب مفتوحًا على مصراعيه .

قصد إليه .. وهم بالخروج ولكنه اصطدم فى هذه اللحظة برجل دخل فجأة .

قال القادم بلهجة التبرم :

- ماذا ؟ ماذا يحدث هنا ؟

كان المتكلم هو الدكتور ويليم روثمان الذى يقيم فى الغرفة الفاصلة بين غرفتى هاستنجز وبوارو .

نظر إلى هاستنجز بحدة وقال وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة :

- هل رأيت أحدًا فى الدهليز منذ لحظة يا ويليم ؟

فهز الطبيب كتفيه وقال :

- كلا .. لم أر أحدًا .

ومر بأصابعه فى شعر رأسه .

كان رجلاً ضخم الجسم .. أشقر اللون .. يناهز الثلاثين من عمره .

قال مرة أخرى :

- ولكن ماذا يحدث هنا .. إننى ...

وأمسك عن الكلام .. فقد وقع بصره فى هذه اللحظة على الفتاة الممدة فوق الفراش .

ولم يسمح له هاستنجز بأن ينطق بكلمة أخرى .. فجذبه إلى الداخل .. وأغلق الباب .. وقال بسرعة :

- حمدًا لله .. إنك طبيب يا ويليم .. دع السؤال الآن وافحص هذه الفتاة .

فأفاق الدكتور روثمان من ذهوله ونعاسه فى الحال .. وأقبل على الفتاة يفحصها .

جس نبضها .. ورفع جفنها .. وفحص بقعة الدم الصغيرة الظاهرة فوق عينيها اليمنى .. ثم نظر إلى هاستنجز .. مقطب الجبين .. وقال بلهجة مزعجة :

- هذا مخيف يا هاستنجز .. إن إصابة الفتاة أخطر مما تتصور والأمل فى إنقاذها ضئيل .

- ماذا ؟!

- إنها تسممت .. ولكن صبرًا لحظة ..

وانطلق من الغرفة مسرعًا ..

« « «

وجفف هاستنجز العرق المتصبب على جبينه .. ونظر إلى الفتاة قائلاً فى ذهول : تسممت ؟!

ولكن من ذا الذى استطاع تسميمها فى تلك اللحظة القصيرة التى انقضت عقب انصرافها من الغرفة ؟ وكيف ؟ ولماذا ؟

« « «

وسمع حديثًا خافتًا فى الدهليز .. ثم فتح الباب .. ودخل بوارو وروثمان معًا .

وكانت نظرة واحدة من هاستنجز إلى وجه بوارو .. كافية لأن تشعره بأن هذا الأخير قد اكتشف شيئًا .

ودخل روثمان حاملاً حقيبة أدواته .

قال بصوت أجش :

- يجب أولاً أن ننقلها إلى غرفتها بأسرع ما يمكن .

وتعاون الثلاثة على نقل الفتاة .. دون أن يحدثوا أية ضجة.. ودق روثمان الجرس الموصل بين مخدع كلارا وغرفة وصيفتها . وشعر بوارو وهاستنجز بأن مهمتهما قد انتهت - مؤقتًا - فعادا إلى غرفة الأول .

« « «

جلس بوارو على حافة الفراش وقال وهو يتنهد :

- إنها أصيبت بتسمم .. أليس كذلك ؟ إننى أعرف من سممها !

فهتف هاستنجز .. وهو لا يصدق أذنيه :

- أنت تعرفه ؟!

فرفع بوارو إصبعه على شفتيه محذرًا .. وقال بصوت خافت:

- إنه قد أوى إلى جحره الآن .. كما تأوى الثعابين إلى جحورها ولا خطر منه الليلة .. ومع ذلك فيجب أن نكون على حذر حتى لا نلفت نظره إلينا .

فسأل هاستنجز بصوت أجش :

- هل هو على مقربة من هنا ؟

فأجاب بوارو :

- إنه فى الغرفة المقابلة لهذه الغرفة .. هو وزوجته .

فهتف هاستنجز :

- الكابتن جورج كانس وزوجته .

فرفع بوارو إصبعه إلى شفتيه محذرًا مرة أخرى .

همس هاستنجز :

- ولكن كيف علمت ؟
فصمت بوارو قليلاً ثم أجاب :
- قبل أن أسمح للآنسة كلارا بالانصراف من هذه الغرفة أمعنت البصر فى الدهليز فلم أجد أحدًا .
وبعد لحظة - أو على الأصح بعد ثانية - خرجت الفتاة وأغلقت الباب وراءها .. ولكنى ما كدت أحول ظهرى إلى الباب حتى سمعت صوت سقوط الفتاة .. فلما فتحت الباب على الأثر .. لم أجد غير الفتاة الممدة على الأرض .. فأين إذن الرجل الذى أراد الفتك بها ؟ لابد أن يكون أحد المقيمين فى غرفة قريبة .. ربما فى الغرفة المقابلة لغرفتى .
- إذن ....
- انطلقت فى الدهليز .. ووثبت من إحدى النوافذ .. وأخذت أتنقل على (كورنيش) البناء من نافذة إلى نافذة .
ولما كان الحر شديدًا هذه الليلة .. فقد ترك أكثر المدعوين نوافذهم مفتوحة .. كانوا جميعًا نيامًا .
وقد وجدت نافذة الغرفة التى يقيم بها الكابتن جورج كانس وزوجته مفتوحة .. وستائرها منسدلة .. ومن حسن الحظ أن كانت هناك ثغرة بين شقى الستار .. ومن هذه الثغرة رأيت الزوجة جالسة على حافة الفراش .. وقد أمسكت بيدها كتابًا وضعته أمام المصباح الكهربائى لتمنع وصول ضوئه إلى الباب .. ورأيت الزوج واقفًا بجانب الباب كأنه ينصت .. وبعد لحظة فتح الكابتن جورج الباب قليلاً فى هدوء .. وبسط ساعده كما يفعل الشخص الذى يهم بإطلاق مسدسه .
فهتف هاستنجز :
- ماذا تقول ؟
وتذكر فى هذه اللحظة صوت الأزيز العجيب الذى اخترق الهواء .. ومر بالقرب من أذنه وهو يمدد كلارا على الفراش .. وذكر ذلك لبوارو .. فقطب بوارو حاجبيه .. وفكر قليلاً .. ثم قال :
- اذهب إلى الفراش وانحن فوقه كما كنت تفعل وأنت تضع الفتاة .
فأطاع هاستنجز .
وقصد بوارو إلى الباب .. وأسند ظهره إليه .. وراح يرقب هاستنجز .. ثم أسرع إلى الفراش ووثب فوقه .. وجعل يمعن البصر فى إطار الصورة المثبتة بالجدار .
وما لبث أن أفلتت من فمه آهة دهشة .. وتناول سكينًا .. وعبث به فى الإطار .. ثم هبط من فوق الفراش وبين أصابعه شىء دقيق قد أمسك به بعناية .. فقال :
- انظر يا هاستنجز .. واحمد الله على النجاة .
فتناول هاستنجز ذلك الشىء .. ونظر إليه بإمعان .
كان عبارة عن إبرة من العاج يبلغ طولها ثلاثة سنتيمترات قد اصطبغ أحد طرفيها بلون أزرق قاتم .
نظر إلى بوارو فى ذعر .. فقال له :
- هذه إبرة مسممة .. قد أطلقت من جهاز خاص يشبه المسدس ولا شك أن عنقك كان الهدف الذى صوبت إليه هذه الإبرة .
- إذن فقد تسممت كلارا بإبرة من هذا النوع .. أى وحش بشرى يستخدم مثل هذا السلاح الجهنمى ؟!
فوضع بوارو الإبرة فى محفظته بعناية وقال :
- أكبر ظنى أن الكابتن جورج كانس وزوجته يدبران أمرًا فهما يعملان لحسابهما الخاص .. أو

لحساب شارلى كونج .. على أن هناك أمرًا واحدًا محققًا هو أنهما شعرا بأن الفتاة تقيم العراقيل فى سبيلهما .. وأنها وضعت ثقتها فينا .. فأرادا التخلص منا جميعًا .. وهذه الإبرة التى أطلقت عليك هى المحاولة الأولى للوصول إلى هذه الغاية .

- المحاولة الأولى ؟

فأجاب بوارو بلهجة رصينة :

- نعم .. وسوف تتلوها محاولات جديدة .. فيجب أن تكون على حذر .

وصمت لحظة ثم استطرد :

- نحن نجد أنفسنا هذه المرة حيال مجموعة عجيبة من الأسرار والألغاز .. فهناك ذلك البناء العجيب القائم فى وسط الجزيرة .. وهناك الفتاة التى اختفت تحت سمعنا وبصرنا .. وهناك دانى الذى رأيناه يتجسس على ذلك البناء .. فما الصلة بين ذلك كله وحوادث هذا المساء ؟ ذلك ما يجب أن نكشف عنه الستار .

لقد قبلنا المهمة التى أسندتها إلينا كلارا درين .. ويجب أن نمضى فيها إلى النهاية .. ثم إن ...

ولم يتم عبارته .. فقد سمع فى هذه اللحظة طرقًا على الباب ثم فتح الباب .. ودخل الدكتور روثمان .. يتبعه الكولونيل دانى مارتان .

قال بوارو محدثًا الطبيب :

- كيف حالها ؟

فهز روثمان رأسه وأجاب :

- هذا علمه عند الله .. لقد كنت جالسًا أتحدث إلى صديقى فى الغرفة حين سمعت صوت وقوع جسم فى الدهليز .. ففتحنا الباب ووجدناها .

وقد خطر لى فى الحال أن بعضهم هاجمنا .. فانطلقت أبحث فى أنحاء المكان .. ولكنى لم أعثر على أحد .

- لم تعثر على أحد ؟!

- كلا .

فقلب روثمان شفته وقال :

- إذا ماتت كان موتها جريمة قتل .. والرأى عندى أن نتصل بالبوليس فى الحال.. ولكن الأمر موكول إليك أنت يا مارتان .. فالحادث قد وقع فى قصرك .. والفتاة خطيبتك .

وتحولت جميع الأنظار إلى دانى مارتان .

كان مقطب الجبين .. تبدو على وجهه علامات السأم .

على أنه قابل النظرات المتسائلة بنظرة صارمة انبعثت من عينيه المتألقتين .. وقال بصوت هادئ بارد :

- إننى لا أريد أن يضع رجال البوليس أقدامهم فى هذا القصر !!

+%

جثة فى الغابة

استبدت الدهشة الشديدة بهاستنجز .. ففى الوقت الذىكانت كلارا درين فى غرفتها تناضل بكل قوتها وشبابها فسبيل الحياة .. كان خطيبها دانى مارتان يتناول طعام إفطار على مائدة واحدة مع الكابتن جورج كانس وزوجته .. أى مع الشخصين المسئولين عما أصاب خطيبته .

كان موقفًا شاذًا غريبًا .. لم يستطع هاستنجز أن يجد له تفسيرًا أو تبريرًا .

» » »

واحتشدت قاعة الطعام باللاعبين .. ودار الحديث بينهم حول المباريات المنتظرة فى ذلك النهار .
وأجال بوارو البصر بين القوم .. ولم يتمالك نفسه من الابتسام حين تصور ما يكون من أمر هؤلاء اللاعبين إذا علموا بالأسرار والجرائم الغامضة التى تقع كل لحظة فى هذا القصر الكبير .
وإنه يفكر فى ذلك .. إذا به يسمع صوتًا عذبًا يسأله :
- هل لك فى قدح من القهوة يا مستر بوارو ؟
فحول رأسه .. ورأى كلير كانس .. زوجة الكابتن جورج كانس وهى تبتسم له .. وفى يدها آنية القهوة .
كانت امرأة حسناء .. رائعة الجمال .. شديدة الجاذبية .
قال بوارو وهو يبتسم ابتسامة عريضة :
- هذا تلطف كبير منك يا سيدتى .
ولم يحول عينيه عنها وهى تصب القهوة فى القدح .. ثم سألها بغتة :
- أرجو أن تكونى قد استمتعت بنوم هادئ هنىء .
فأجابت وعلى شفتيها ابتسامة حلوة :
- نعم .. شكرًا لله .
وفى هذه اللحظة .. نهض الكابتن جورج كانس من مكانه .
كان شابًا فى مقتبل العمر .. نحيف الجسم .. ضيق العينين أسمر البشرة .
قال يحدث بوارو :
- أرجو أن تكون على استعداد .. فنحن إذا لم نتفوق على خصومنا فى مباريات اليوم .. ضاع أملنا فى الفوز النهائى .
فأجاب بوارو :
- كن مطمئنًا يا عزيزى .. فسأبذل قصارى جهدى .

» » »

كان من المستحيل أن يتصور الإنسان أن هذا الشاب الهادئ الوديع .. وامرأته الفاتنة .. هما اللذان أقدما منذ ساعات قليلة على جريمتى قتل بسلاح من أهول أسلحة الفتك بالحياة البشرية.
وقد شعر هاستنجز .. وهو ينظر إلى الكابتن كانس .. برغبة شديدة فى أن يهوى بقبضته القوية على فكه النحيل .
ولكنه تنهد .. وكتم هذه الرغبة .

» » »

ولاحت من هاستنجز التفاتة .. فرأى الكولونيل دانى يتحدث إلى أبيه اللورد مارتان بالقرب من إحدى النوافذ .
كانا يرتديان ثياب (الكروكيت) على الرغم من أن الكولونيل لم يمكن يشترك فى المباريات .
ولاحظ هاستنجز أنهما يتحدثان بصوت خافت .. وعلى وجهيهما علامات القلق والاهتمام .

» » »

وبعد بضع دقائق انصرف القوم .. ولم يبق سوى بوارو وهاستنجز والدكتور روثمان .
وانتهز بوارو فرصة خروج الخادم .. وسأل الطبيب بقوله :
- كيف حالها اليوم يا روثمان ؟
فتنهد الطبيب وقال :
- لقد قضيت الليل كله بالقرب منها .. ولم أنصرف إلا فى الساعة الرابعة صباحًا .. وهى الآن مستغرقة فنوم عميق وستكون أحسن حالاً عندما تستيقظ .. وأكبر ظنى أنها تستطيع ترك

الفراش بعد ظهر اليوم .
وراح يرتشف القهوة ببطء ثم قال :
- إننى أؤكد لك يا مستر بوارو أن المجرم الذى سمم هذه الفتاة كان يهدف إلى قتلها .
فسأله بوارو :
- وهل عرفت نوع السم يا روثمان ؟
فأجاب الطبيب :
- إننى لست على يقين .. ولكن مما لا ريب فيه أنها لم تسمم قضاءً وقدرًا .. وإذن ففى الأمر جريمة .. وقد ذكرت ذلك لدانى ولكنه أصر على رأيه ورفض الاتصال برجال البوليس .. وأنا لا أفهم وجهة نظره .. ولا أجد لإصراره معنى .. مسكينة هذه الفتاة .. لقد كان يخيل إلى أن دانى سيكون أول من يدعو رجال البوليس لتحقيق الحادث .. هذه كلها أسرار لا أفهمها .
فملأ بوارو قدحه بالقهوة مرة أخرى وقال وهو ينظر إلى الطبيب بحدة :
- صدقت يا روثمان .. فهذه كلها أسرار غامضة مستعصية على الفهم .. وقد حزمت رأيى - أنا وصديقى هاستنجز - على العمل لحلها .. وكشفها .. ولكننا قد نحتاج إلى معونة .. فهل أنت على استعداد للتعاون معنا .
ففكر روثمان قليلاً .. ثم تنهد وأجاب :
- أصغ إلى يا مستر بوارو .. إننى أعطف من كل قلبى على هذه الفتاة .. ولا ...
ولم يتم عبارته فقد نهض بوارو من مكانه فجأة وهو لا يحول عينيه عن النافذة :
وأرسل هاستنجز بصره إلى النافذة ..
ولشد ما كانت دهشته حين رأى الفتاة التى اختفت فى الجزيرة .. وهى تسير بين الأشجار وفى يدها سوط صغير تضرب به الحشائش بقلة اكتراث .
كانت هى بعينيها الفتاة التى تزين شعرها بوردة بيضاء .
ومرت الفتاة أمام النافذة فصاح بوارو :
- أرجو المعذرة .. سأعود بعد لحظة .
ووثب من النافذة .. وتوارى بين الأشجار .

» » »

ونظر روثمان إلى هاستنجز فى دهشة وسأل :
- إننى لم أر هذه الفتاة فى القصر قبل الآن .. فهل تعرفها ؟
وحار هاستنجز .. ولم يعرف نوايا بوارو أو مبلغ ثقته بالطبيب فأجاب :
- أظن أن بوارو يعرفها .
فهز روثمان كتفيه وقال :
- إننى لا أرى هنا غير طلاسم وألغاز .

» » »

وبعد بضع دقائق .. عاد بوارو وهو مقطب الحاجبين .
قال فى حدة :
- لقد فقدت أثرها فى الغابة .. إنها اختفت .. كما لو أن الأرض انشقت وابتلعتها .
ثم تحول إلى الطبيب وقال :
- سنسبقك إلى حلبة اللعب يا روثمان .. فالحق بنا متى فرغت من طعامك .
وأشار إلى هاستنجز .. فأسرع إليه .
وتوغل الصديقان فى الغابة .
قال بوارو وهو يضم أصابع يديه بعنف :

- لقد ضايقنى اختفاء الفتاة يا هاستنجز .. كان بودى أن أعرف من هى .. وماذا كانت تفعل فى الجزيرة .. وما سر ذلك الصوت الغامض الذى سمعناه مرتين بالقرب من تلك الجزيرة .. وماذا جاءت الفتاة تعمل هنا بينما أهل القصر فى حلبة اللعب ؟

ثم لمعت عيناه فجأة وقال :

- نعم .. نعم .. لابد أن ذلك كذلك !

- ماذا تعنى ؟

فأجاب بوارو باختصار :

- لابد أن الفتاة جاءت للتجسس فى هذا الوقت الذى ظنت فيه أن جميع المدعوين قد انطلقوا إلى حلبة اللعب .

وبعد بضع دقائق .. لن يبقى بالقصر أحد .. وعندئذ ستعود الفتاة حتمًا للتجسس .

وحول رأسه ونظر إلى القصر العتيق القائم وسط الأشجار المرتفعة وقال :

- يجب أن نتخلف عن اللعب بطريقة ما لكى نبقى فى القصر لمراقبة ما يحدث .

وفرغ هاستنجز من اللعب بسرعة .. لأنه تعمد أن يفشل .

وجلس بوارو فى انتظار دوره .. وانتصف النهار قبل أن يأتى دوره فى اللعب .

ولم يستمر الشوط أكثر من نصف ساعة .. ثم خرج بوارو من الملعب وهو يعرج .. ويلعن حظه السيئ .. فقد التوت قدمه وهو يعدو وراء الكرة .

« « «

واجتمع الصديقان فى قاعة الثياب .

قال هاستنجز :

- إن الحظ يعاندك على طول الخط فى هذه المباريات يا بوارو .. أليس من سوء الطالع أن تلتوى قدمك فى هذا اليوم الفاصل ؟!

فنظر بوارو حوله وأجاب بسرعة :

- إن قدمى لم تلتو .. هلم ساعدنى على خلع الحذاء الرياضى .. لقد كدت أنشق غيظًا من طول الانتظار .

واستبدل بوارو حذاءه .. وسأل فجأة :

- هل رأيت اللورد مارتان ؟

- أنا .. كلا .. ألم يشترك فى اللعب ؟

- إنه قضى بعض الوقت فى مشاهدة المباريات ولكنه توارى فجأة .. ثم ظهر بين الأشجار .. برفقة كونج .

- شارلى كونج ؟

- صه .. هلم بنا .

« « «

وانصرفا من الغرفة .. وسارا فى ممرات الحديقة ببطء .. وبوارو يتظاهر بالعرج .. ويستند على ساعد هاستنجز ..

وما إن حجبتهما الأشجار .. حتى اعتدل بوارو فى مشيته وراح يتنقل فى الغابة بخفة النمر .. إلى أن اقترب من القصر ..

كان السكون شاملاً .. وأكثر نوافذ القصر مغلقة .

نظر بوارو حوله ثم تحول نحو الشرق .. حيث توجد البحيرة والجزيرة .

وأمعنا فى السير بين لفائف الأشجار والعشب .

وفجأة .. أحس هاستنجز بأصابع بوارو تقبض على ساعده.. فكف عن السير .. ونظر أمامه .

رأى شارلى كونج واقفًا بين الأشجار .. على بعد عشرة أمتار ولاحظ أنه ينظر حوله بسرعة .. ثم رآه يلقى ببصره على شىء فى الأرض .

وهنا ركض قلب هاستنجز بين ضلوعه .. فقد أحس أن ذلك الشىء الذى نظر إليه شارلى كونج هو جسم ممدد على الأرض .. جسم شخص يرتدى ثياب (الكروكيت) .

« « «

ورفع شارلى كونج رأسه مرة أخرى .. ولوح بإحدى يديه.. فخرج من بين الأشجار رجلان .. لا تدع بشرتهما الصفراء مجالاً للشك فى أنهما صينيان .

وانحنى الرجلان فوق الجسم الممدد على الأرض .. بينما راح شارلى كونج يمزق ورقة كانت فى يده .

ورفع الرجلان ذلك الجسم .. وحبس هاستنجز أنفاسه .. ونظر أمامه بإمعان .. ثم حول بصره إلى بوارو .. كأنما ليستطلع رأيه فى وجوب الهجوم من عدمه .

ذلك أن الجسم الذى حمله الرجلان كان جسم اللورد مارتان .. كان النبيل الشيخ ميتًا .. أو فاقد الرشد .

ولكن بوارو رفع أصبعه إلى شفتيه محذرًا .. واضطر هاستنجز أن يلزم جانب السكون .

وغاب الرجلان بما يحملان بين الأشجار .. وبقى شارلى كونج فى مكانه لحظة .. ثم مد يده إلى جيبه .. ليضع قصاصات الورقة التى مزقها .

وعندئذ أوشك هاستنجز أن يصرخ سرورًا .. فقد تناثرت بعض هذه القصاصات .. واختفت بين العشب .. ولم يفطن إليها شارلى كونج .. الذى ما لبث أن اختفى بين الأشجار .

وبعد لحظة .. سمع الصديقان صوت محرك السيارة .

الفصل الخامس

الورثة الممزقة

خرج الكابتن جورج كانس من حلبة اللعب وسط التصفيق الحار فقد أحرز على غريمه نصرًا ساحقا .

وجاء دور اللورد مارتان .. وانقضت بضع دقائق قبل أن يكتشف اللاعبون اختفاءه .. والظاهر أن احدًا لم يفطن إليه حين تسلل من المكان .. كذلك لم يعثر أحد على أثر الكولونيل دانى مارتان ..

وبعد مشاورة قصيرة بين اللاعبين .. تقرر استئناف اللعب .. وتأجيل دور اللورد .

« « «

وحول الساعة السادسة .. ظهر الكولونيل دانى مارتان . وأقبل يتبعه خادم يحمل بين يديه صينية عليها أقداح «الكوكتيل».

وسئل الكولونيل عن أبيه .. فأجاب باختصار أنه سافر إلى لندن فجأة لأمر يتعلق بأعماله .

وسمع بوارو وهاستنجز هذا الاعتذار .. وتبادلا نظرة ذات معنى .

- ترى هل كان الضابط الشاب يعلم بما أصاب أباه ؟

ألقى هاستنجز هذا السؤال على بوارو عندما اجتمع به فى غرفته بعد الطعام .. وكان بوارو منهمكًا فى فحص القصاصات التى سقطت من يد كونج .

ولم يجب بوارو على الأثر .. بل فكر قليلاً ثم قال :

- لا أعلم على وجه التحقيق يا هاستنجز .. ولكن أظن أن لدى دانى مارتان من المعلومات ما يساعده على فهم الموقف على حقيقته ومعرفة ما أصاب أباه بطريق الاستنتاج .

ونحن نعلم أن دانى يخشى شارلى كونج لأمر ما .. وأعتقد أنه يشعر بأن لكونج إصبعًا فى اختفاء اللورد .

وصمت قليلاً ثم استطرد :

- أما ما أصاب اللورد مارتان على يد كونج .. فأعتقد أنه يمكن تفسيره بأحد أمرين .. إما أن كونج يريد شيئًا من اللورد مارتان . ويحاول الحصول عليه قوة وقهرًا .. وإما أنه يريد شيئًا من دانى مارتان .. ويتخذ من اللورد وسيلة لإرغام الضابط الشاب .

ومهما يكن هذا الشىء الذى يريده شارلى كونج .. فإن الكابتن جورج كانس وزوجته يريدانه أيضًا .. إما لحسابهما الخاص وإما لحساب كونج نفسه .

فإذا كانا يعملان لحسابهما الخاص فمصيرهما حتمًا أن يصطدما بكونج وفى هذه الحالة يجب أن نسأل الله لهما الرحمة لأنهما إذا كانا مخلوقين خطرين .. فإن شارلى كونج أشد منهما خطرًا .

على أن هناك أمرًا واحدًا مؤكدًا .. هو أن (محور) هذا النضال لابد أن يكون شيئًا ثمينًا بالنسبة إلى كونج وكانس وعائلة مارتان .

وأخذ يسير فى الغرفة جيئة وذهابًا .

قال بلهجة من يبسط الحوادث ليستنبط منها الحقائق :

- لقد جاء شارلى كونج إلى هذه الناحية .. وأقام بالقرب من عائلة مارتان لأنه يريد منهم شيئًا .. وقد أوقع وجوده الذعر فى قلوبهم .. ولكنهم مع ذلك لا يفكرون فى الرحيل من هذه الناحية .. ولا يفكرون فى الاتصال برجال البوليس .

وقد أوشكت خطيبة دانى أن تذهب ضحية جريمة رهيبة .. وخطف أبوه .. أو قتل .. وعلى الرغم من هذا فإنه يصر على عدم الاتصال بالبوليس .. فما معنى ذلك ؟!

ترى هل يحاول شارلى كونج ابتزاز المال من دانى مارتان . لأنه يعرف من ماضى هذا الشاب

ما يخجله ؟
لا أظن ذلك .. فإن دانى من الضباط الممتازين .. وقد فقد أحد ساعديه فى الدفاع عن وطنه .
وصمت بوارو .. وساد السكون .. فقال هاستنجز فى لهفة وفضول :
- وقصاصات الورق التى سقطت من كونج .. ألم تجد فيها ما يكشف عن هذه الأسرار ؟
فأجاب بوارو ببطء :
- لا أعلم .. إليك القصاصات فافتحها بنفسك .. لقد وضعت على كل منها رقمًا .. بحسب الترتيب الذى استنتجته .
وتناول هاستنجز القصاصات .
كان عددها سبعًا .. وقد كتبت بخط دقيق وبمداد أخضر .
قرأ فيها ما يلى :
القصاصة رقم 1 : المسألة ليست .. الموافقة يجب .. الشرف إذا ...
القصاصة رقم 2 : إنك كنت .. الحاجة شديدة إلى لمال .. أعيد المبلغ .
القصاصة رقم 3 : على مسئوليتك .. الإنذار الأخير .. حيوى للغاية .
القصاصة رقم 4 : رقم س 4 فى .. عبد طائع .. مفتاح ال- .....
القصاصة رقم 5 : سخط الرأى .. أسرتك .. أبشع ال- ...
القصاصة رقم 6 : بطل ....
القصاصة رقم 7 :48 ساعة .. الاتفاق من ... العار والفضيحة .
فحص هاستنجز هذه القصاصات .. وأعاد فحصها .. ولما رفع رأسه وجد بوارو ينظر إليه بإمعان .
قال بوارو :
- ماذا فهمت ؟
فتنهد هاستنجز وأجاب :
- هذا لغز جديد .. أشد تعقيدًا من سائر الألغاز التى عرضت لنا فى هذين اليومين .
فابتسم بوارو وقال :
- لقد استطعت أن أستنتج شيئًا أو شيئين .. ولكن هذا الاستنتاج لا يعدو أن يكون نوعًا من الحدس والتخمين .
ويجب أولاً أن أقول إن كونج بعث برسالة إلى اللورد مارتان وهى رسالة تهديد بغير شك .. وهذه بعض أجزائها .
ومادام كونج قد استطاع أن يهدد كتابة فمعنى ذلك أنه يعلم أن اللورد مارتان لن يلجأ إلى البوليس.. بسبب يعرفه هو وتعرفه عائلة مارتان .. ولكننا نجهله .
والظاهر من الكلمات الثابتة فى هذه القصاصات أن مارتان وولده تعاقدا مع كونج على صفقة معينة .. ثم عدلا عنها . أو بمعنى آخر .. عجزا عن تنفيذها .
وأفهم من ذكر (المال) فى الرسالة أن مارتان وولده أخذا من شارلى كونج مبلغًا من المال عندما عدلا عن الصفقة .
والظاهر أن كونج رفض المبلغ .. وأنذر مارتان وولده بوجوب الوفاء بوعدهما .
ولست أفهم معنى (رقم س 4) .. ولكن الكلمات التى جاءت فى القصاصة رقم (5) تتضمن تهديدًا بأنه فى حالة عدم وفاء مارتان وولده بوعدهما فإنه يستطيع أن يجلب عليهما سخط الرأى العام .
فسأل هاستنجز :
- ومامعنى عبارة (أبشع ال- .....)

فأجاب بوارو :
- من السهل معرفة بقية هذه العبارة ..إنه يعنى (أبشع الجرائم) .. والظاهر أن آل مارتان عندما أبرموا الصفقة مع كونج ارتكبوا ما يمكن وصفه بأنه (أبشع الجرائم) .. ومن المؤكد أن آل مارتان قد شعروا بذلك بعد فوات الوقت فعدلوا عن الصفقة .. وراح كونج يهددهم بالعار والفضيحة وإثارة سخط الرأى العام عليهم إذا لم ينفذوا الاتفاق .. والآن .. ما هى (أبشع الجرائم) ؟
فأجاب هاستنجز :
- هذه مسألة تقديرية .. والرأى عندى أن جريمة القتل هى أبشع ....
فقاطعه بوارو :
- ربما .. ولكن يجب أن نكون على حذر .. هب أن آل مارتان ارتكبوا جريمة قتل وحشية .. وأن كونج علم بأمر هذه الجريمة .. أفلا يكون من المنتظر فى مثل هذه الحال أن يسرع آل مارتان إلى إرضاء كونج وشراء سكوته .. ولكننا نرى الآن غير ذلك .. نرى أن كونج هو الذى قدم إلى آل مارتان مبلغًا من المال .
- كلا يا عزيزى هاستنجز .. إن المسألة - كما ذكرت أنت - تقديرية وتتوقف فى الغالب على وجهة النظر .. فتأمل آل مارتان .. تأمل الأب والابن .. وحاول أن تعرف ما الجريمة التى تعتبر فى نظرهما (أبشع الجرائم) .
ابحث عن جواب لهذا السؤال البسيط .. فتعرف سر الحوادث العجيبة التى تقع فى هذا القصر .
- هل عرفت أنت الجواب ؟
فلمعت فى عينى بوارو نظرة ماكرة وقال :
- كلا .. لم أعرف بعد .
ولكن هاستنجز رأى نظراته .. وأدرك أنه يسخر منه .. وأنه يريد أن يحتفظ بالسر لنفسه .
وكان يعرف طباع صديقه فلم يلح عليه بالسؤال .
قال :
- وماذا فى نيتك أن تفعل ؟
فأجاب بوارو :
- سنذهب إلى (قصر مورجن) حيث يقيم مستر كونج .. لقد كنا ننوى زيارته الليلة .. فألق نظرة على الدهليز .. ولا تنس أن تغلق الباب هذه المرة .
فأطاع هاستنجز .. وفتح الباب .. وأمعن البصر فى الدهليز .. ثم أغلق الباب .. وأوصده من الداخل .
وانصرف الاثنان من الغرفة من خلال النافذة بواسطة سلم من الحبال .

» » »

كان الحر شديدًا .. والظلام دامسًا .. ولكنهما لم يستطيعا استخدام مصباحهما الصغير إلا بعد أن ابتعدا عن القصر .. وتوغلا بين الأشجار .. وسرعان ما وصلا إلى حاجز الأسلاك الشائكة الذى يفصل أملاك آل مارتان عن أرض جارهما .
وهناك تحولا إلى اليسار .. وأشرفا على حافة البحيرة .. وسارا فى محاذاة الشاطئ .
قال بوارو :
- سوف نلقى نظرة على هذا البناء الغريب القائم فى وسط الجزيرة بعد أن نفرغ من زيارة القصر .
ثم أضاء مصباحه وقال :

- سنتقدم إلى الأمام .. ولابد أن نهتدى إلى موقع القصر .
واستأنفا السير فى هدوء وحذر وسط غابة كثيفة خيل إليهما أنه لا آخر لها .. ولاحت لهما فى النهاية نوافذ ينبعث منها الضوء.
فقال بوارو :
- هو ذا قصر كونج بغير شك .. وتدل الأنوار المنبعثة من النوافذ على أن هناك أكثر من شخص واحد لم يغلبه النعاس بعد .
ولم يكن بوارو ينطق عبارته الأخيرة .. حتى سمع وراءه وقع خطوات .. وأصواتًا خافتة .
« « «
أمسك بوارو بذراع هاستنجز بقوة .. وتوارى معه خلف إحدى الأشجار .. وما هى إلا دقائق معدودة حتى مر بالقرب منهما رجلان يسيران بسرعة .
قال أحد الرجلين :
- احذر من الاصطدام بالسلك .
فلم يجبه زميله .. ولكنه أضاء مصباحًا كهربائيًا .. وحركه فى يده بسرعة فانتشر الضوء فى طريقهما .
وفى مجال الضوء الساطع رأى بوارو وهاستنجز سلكًا دقيقًا لامعًا .. يتألق تحت أشعة الضوء .
وتخطى الرجلان هذا السلك .. ثم انطفأ المصباح .. وواصلا السير .
همس بوارو :
- إن الحظ يخدمنا .. فقد وضع هذا السلك لإنذار كونج .. ولولا هذان الرجلان .. لارتطمنا به .. ووجدنا كونج على استعداد لمقابلتنا .
وانتظرا قليلاً حتى ابتعد الرجلان .. ثم سارا فى أثرهما .. ووقفا على بعد بضعة أمتار من القصر لمراقبة ما يحدث .. فأبصرا بالرجلين يقفان أمام إحدى نوافذ الطابق الأرضى .. وبعد لحظة .. فتحت النافذة .. فوثب منها الرجلان .. وأغلقا النافذة وراءهما .
قال بوارو :
- هلم بنا ...
وسار فى المقدمة .. وتبعه هاستنجز .. وصادفهما حاجز خشبى يحيط بالقصر .. فوثب بوارو فوقه .. وحذا هاستنجز حذوه .
على أن هاستنجز ما كاد يهبط وراء ذلك الحاجز .. حتى دوى فى جوف القصر رنين هائل صادر من آلاف الأجراس !!
ذعر هاستنجز وظن أنه مس سلكًا .. أو جهازًا آخر من أجهزة الإنذار بالخطر .
وكان لا يزال فى ذعره وذهوله حين شعر بيد بوارو تجذبه بسرعة .. وتسوقه نحو الجدار .
التصقا بالجدار .. بالقرب من النافذة .. وشهر بوارو مسدسه وتأهب للعمل .
وفى الحال فتحت النافذة .. وانبثق منها نور قوى خاطف من نوع الأنوار الكاشفة .
وسقط النور على الغابة .. وأضاء كل بقعة فيها .. وتألق على كل ورقة من أوراق الشجر .
ورأى بوارو على النور الكشاف رجلاً يقف بين الأشجار مبهوتًا .. رآه .. وعرفه ..
كان هذا الرجل هو الكابتن جورج كانس .
وحجب كانس عينيه بيده حتى لا يبهرهما الضوء .. ثم أطلق ساقيه للريح .. واختفى بين الأشجار .
وبعد لحظة .. خرج من النافذة رجل رابع سار على مهل حتى ابتعد عن المنـزل نحو عشرة أميال .. ثم وقف وراح يرقب ما يحدث فى الغابة .

وهمس بوارو فى أذن هاستنجز :

- هلم بنا ..

وقبل أن يفهم هاستنجز غرضه .. شعر بيد بوارو تجتذبه .. ورأى صديقه يثب من النافذة فوثب خلفه بحركة لا إرادية .

الفصل السادس

مطاردة رهيبة

وجد بوارو وصاحبه أنفسهما فى غرفة حافلة بدواليب الكتب وفى وسطها الجهاز الذى أرسل ذلك الضوء الساطع .

ورأى بوارو دخان التبغ يملأ جو الغرفة .. وأبصر بمائدة عليها أقداح الخمر .

هز كتفيه .. وقصد إلى باب الغرفة وفتحه .. ولما هم بالخروج سمع طلقًا ناريًا فى الخارج .. فتبادل مع هاستنجز النظرات .

ترى هل قتل الكابتن كانس ؟

« « «

خرج بوارو من الغرفة .. ورأى أمامه درجات سلم تؤدى إلى الطابق الأول .. ولكنه سرعان ما رجع .. وتوارى خلف الباب .

ذلك أنه سمع وقع أقدام تهبط السلم .

واقترب القادم .. ودخل الغرفة .. وعندئذ وثب عليه بوارو .. وأهوى بمقبض مسدسه على قمة رأسه .. فسقط الرجل على الأرض دون أن ينطق بكلمة .

ولم يضع بوارو الوقت بعد ذلك .. بل انطلق من الغرفة وراح يرقى درجات السلم وثبًا .

ولكنه ما كاد يصل إلى الدرجة الأخيرة حتى وقف بغتة .. ومد يده ليمنع هاستنجز من التقدم .

وأرسل هاستنجز البصر من فوق كتف صديقه .. ورأى بابًا يفتح .. وفتاة تخرج منه .

كانت الفتاة عارية الرأس .. وقد زينت شعرها بوردة بيضاء.

عرف فيها ذات الفتاة التى اختفت مرتين : فى الجزيرة أمام باب ذلك البناء الغريب .. وفى الدغل حين هم بوارو بمطاردتها .

« « «

أنصتت الفتاة باهتمام .. ثم أسرعت الخطى حتى انتهت إلى باب آخر فى الدهليز .. وأخرجت من جيبها حزمة من المفاتيح وراحت تجرب المفاتيح فى قفل الباب .

جربت المفتاح الأول .. والثانى .. والثالث .. ثم وضعت المفتاح الرابع فى ثقب القفل.. وحركته ففتح الباب.. ودخلت .

وفى اللحظة التالية .. سمع بوارو وهاستنجز صيحة خافتة مكتومة .

كانت صيحة ذعر .. وهلع .

« « «

وثب بوارو إلى الأمام فى أثر الفتاة .. ولكنه ما كاد يصل إلى الباب حتى جمد مكانه بدوره .

وأطل هاستنجز من فوق كتف صديقه .. ورأى منظرًا مخيفًا.

رأى على ضوء المصباح الكهربائى غرفة عادية .. وفى وسطها مقعد مقلوب .. وفوق المقعد جثة متدلية من السقف .. جثة مشنوقة بقطعة من القماش .

ورأى هاستنجز وجه صاحب الجثة .. وجمد فى مكانه .

كانت جثة اللورد مارتان .. وجميع الدلائل تدل على أن الرجل انتحر شنقًا .

« « «

أما الفتاة فإنها راحت تنظر إلى الجثة فى هلع .. وقد وضعت يدها على فمها كأنما لتمنع نفسها من الصياح .. ثم ترنحت فى مكانها .. وأوشكت أن تسقط .. لولا أن خف إليها بوارو وأمسك بها .

وفى هذه اللحظة .. شعر هاستنجز بضربة هائلة تصيب رأسه .. فسقط على ركبتيه .. وسمع فى ذات اللحظة صوت بوارو وهو يهتف :

- كونج ..
ثم سمع صوت باب الغرفة وهو يغلق .

» » »

لم يفقد هاستنجز الرشد .. ولكنه ذهل عن نفسه بضع دقائق.
وفى هذه الأثناء .. وضع بوارو الفتاة على الفراش .. وعاد إلى صديقه ..
سأله :
- ماذا أصابك ؟
فأجاب هاستنجز :
- لا شىء .. أصابتنى ضربة على مؤخرة رأسى .. ولكنها لم تقتلنى لحسن حظى .
ونهض واقفًا .. وأرسل بصره إلى حيث كانت الفتاة .
أدهشه جمالها الرائع .
ترى من هذه الفتاة الفاتنة؟ وما الصلة بينها وبين كونج؟
وماذا تفعل فى بيته ؟ هل هى زوجته أو ابنته ؟
وإذا صح ذلك فما معنى التجائها إلى المفاتيح الزائفة لفتح باب الغرفة ؟
قال بوارو باختصار :
- لقد أغمى عليها .. وإذا كانت لديك فكرة عن أى وسيلة للخروج من هنا فاذكرها لى بحق السماء .
فقلب هاستنجز يديه فى حيرة .
قال بوارو :
- سنأخذ الفتاة معنا إذا استطعنا الفرار .. إن خلايا مخى الرمادية قد توقفت عن العمل بغير شك .. فقد جئت إلى هنا دون أن أحدد خطة معينة .. وقد حانت حقًا فرصة للدخول فدخلت .. ولكن كيف السبيل إلى الخروج الآن ؟
فأرسل هاستنجز بصره إلى الباب وقال :
- تستطيع أن تطلق الرصاص على قفل الباب فتحطمه .. ولكن لا شك فى أنهم يتربصون بنا فى الدهليز .
فدار بوارو بعينيه فى أنحاء الغرفة .. وتعمد أن يتجاهل الجثة المتدلية من السقف .
استقر بصره أخيرًا على النافذة .. فأسرع إليها .. والتصق بالجدار .. ومد يده .. واجتذب الستار بسرعة .
ولكنه ما كاد يفعل ذلك .. حتى دوى طلق نارى ... وأصابت الرصاصة زجاج النافذة فحطمته .
وترك بوارو الستار فى الحال وهو يقول :
- يا للشيطان .. إننا محصورون من كل ناحية .. ولكن .. وأمسك عن الكلام .. وارتسمت فى عينيه آيات الدهشة والذهول .
وقال هاستنجز :
- ماذا حدث ؟!
لم يجب بوارو .. ولكنه أشار بأصابعه نحو الفراش .
ولشد ما كان دهشة هاستنجز .. حين وجد الفراش خاليًا ولا أثر فيه للفتاة .
اختفت .. كما لو كانت قد تبخرت .

» » »

وقطب بوارو حاجبيه وقال بلهجة مخيفة :
- هذا معناه أن لهذه الغرفة منفذًا سريًا .

إن الفتاة لم تفقد رشدها .. كان من المستحيل أن تفقد رشدها .. إنها ذعرت .. ثم ملكت زمام نفسها .. وشعرت بأنها بين أيدى رجلين غريبين .. فتظاهرت بالإغماء .. وانتهزت فرصة انشغالنا .. وفرت من منفذ خفى .. وذلك معناه أن شارلى كونج يستطيع أيضًا أن يصل إلينا من هذا المنفذ ويأخذنا على غرة .

فأخرج هاستنجز مسدسه من جيبه .. وأجال البصر بين جدران الغرفة .

كانت الجدران عادية .. ونصفها الأسفل من الخشب .. والنصف الأعلى مغطى بالورق الملون .

« « «

وأصاخ الصديقان السمع .

كان السكون شاملاً ..

وفجأة تحرك بوارو من مكانه وأطفأ النور وهتف :

- هاستنجز ..

- نعم ..

- يجب أن نجازف بالخروج .. لم يبق أمامنا إلا أن نجازف .. ولدى وسيلة لتشتيت أولئك الذين يترصدوننا تحت النافذة .. وأمام الباب .. سنخرج من الباب .. وعليك أن تطلق الرصاص على كل من يقف فى طريقنا .. إننا محوطان بمجرمين لا يترددون فى القتل .. إذا وجدوا إلى ذلك سبيلاً .. هل فهمت ؟

- نعم ...

« « «

ومشى بوارو تحت جنح الظلام حتى وصل إلى النافذة .

قال :

- تلمس وضع القفل من الباب .. وصوب مسدسك .. واستعد .. فأطاع هاستنجز ..

قال بوارو :

- هل أنت على استعداد الآن ؟

- نعم ..

« « «

حرك بوارو ستار النافذة بسرعة وهتف :

- أطلق الرصاص .

وفى ذات اللحظة التى أطلق فيها هاستنجز الرصاص .. دوى فى الخارج صوت انفجار هائل .. اهتزت له جدران القصر .

وأدرك هاستنجز ما حدث .

أدرك أن بوارو ألقى من النافذة بقنبلة السائل المتفجر الذى يستخدمه أحيانًا فى المواقف الصعبة مع عتاة الشر والإجرام .. وأن القنبلة انفجرت بمجرد ارتطامها بالأرض .

« « «

وكانت رصاصة هاستنجز قد حطمت القفل ..

فضرب بوارو الباب بقدمه فانفتح .

صاح :

- أسرع .. أسرع يا هاستنجز .

ووثب من الباب .. ووقع بصره فى الحال على رجل يترصدهما عند قمة السلم .

وقبل أن يطلق الرجل مسدسه .. عاجله بوارو برصاصتين أطارت إحداهما المسدس من يده ..

وأصابت الأخرى كتفه .

» » »

وصح ما توقعه بوارو فقد كان رجال كونج يرقبون نافذة الغرفة من الخارج .. فلم يجد الصديقان فى طريقهما أحدًا . وما هى إلا بضع ثوان حتى كانا يثبان من نافذة الغرفة الأرضية .. ويعدوان نحو الغابة .

وسرعان ما اقتربا من حاجز الأسلاك الشائكة الذى يفصل بين أملاك مارتان .. وأملاك مورجن التى يحتلها كونج .

» » »

قال هاستنجز وهو يلهث :

- حقًا .. لقد نجونا بأعجوبة .

ووضع يده على مؤخرة رأسه .. وتحسس موضع الضربة التى أصابته .

قال بوارو :

- بقى أن نعرف الصلة بين تلك الفتاة الغامضة .. و ....

- وماذا ؟

ولكن بوارو لم يجبه .. بل وقف فى مكانه قليلاً .. وأنصت .. ثم همس :

- هل سمعت ؟

فأنصت هاستنجز بدوره.. وسمع ما يشبه حركة آلة ضخمة.

سأله بوارو مرة أخرى :

- هل سمعت ؟

- نعم ..

وأنصت مرة أخرى .. ولكن الصوت تلاشى بغتة .

قال بوارو :

- إن الجزيرة على مقربة منا .. وفى الجزيرة يوجد ذلك البناء .. العجيب .. أظن ..

وصمت .. ولم يعبر عن ظنونه ..

واستأنف الصديقان السير ببطء ..

قال هاستنجز وهو يستعرض فى ذهنه حوادث تلك المغامرة :

- لقد خرجنا من حوادث هذه الليلة بنتيجة واحدة هى معرفة مصير اللورد مارتان .

فصمت بوارو قليلاً ثم أجاب :

- كلا يا هاستنجز .. إننا خرجنا بنتائج أهم من ذلك .. وعرفنا بعض الحقائق عن شارلى كونج .. وآل مارتان .. والبناء العجيب القائم فى وسط الجزيرة .. وأظن أننى أعرف الآن ما هى (أبشع الجرائم) فى نظر آل مارتان .

فنظر إليه هاستنجز فى دهشة وعجب .. ولكن بوارو التزم الصمت .. ولم يفصح عن معنى كلماته .

الفصل السابع

الإنـذار

استيقظ هاستنجز فى صباح اليوم التالى .. ووجد غرفته هادئة ساكنة تسبح فى أشعة الشمس الوهاجة . فخيل إليه أن حوادث الليلة الماضية لم تكن إلا حلمًا من الأحلام المزعجة .. فقد كان هذا الضوء .. وهذا الهدوء يتعارضان مع ظلام الليلة السابقة وعنف مطاردتها الرهيبة .

جلس على حافة الفراش .. وراح يرتشف قدح الشاى ويستعرض حوادث الليلة الماضية .. ثم شعر بصداع .. وضع يده على رأسه .. واكتشف مصدر هذا الصداع .

وجد فى مؤخرة رأسه تورمًا ضخمًا .. فحمد الله على أنه خرج سالمًا .. وجرى ذهنه إلى الكابتن كانس .. وسأل نفسه : ترى هل لحق به رجال كونـج ؟

وأيقن من أمر واحد على الأقل .. هو أن كانس يعمل لحسابه الخاص .. وليس لحساب كونـج .

ولكن ماذا يبغى كانس .. وماذا يبغى كونـج ؟!

أتعبه التفكير .. فنهض من فراشه .. وارتدى ثيابه .. وقصد إلى قاعة الطعام .

وصادف بوارو فى طريقه .

رآه منصرفًا من مكتبة القصر .. وهو يبتسم .. وعليه دلائل النشاط كما لو كان قد قضى الليل كله فى نوم مريح !!

هتف هاستنجز :

- أرى أنك بكرت فى النهوض .

فأجاب بوارو بلهجة الارتياح :

- نعم .. وقد قمت بأبحاث كثيرة .

- فى المكتبة ؟

- نعم .. فى المكتبة .

- أرى من الغبار الذى يغطى ثيابك أنك قضيت بعض الوقت .

- نعم .. إننى قضيت وقتًا طويلاً فى المكتبة .. وستعرف نتيجة أبحاثى بعد قليل .. أما الآن .. فسأنهى إليك بعض معلومات تساعد معدتك على هضم طعام الإفطار .. وتزيد من نشاطك فى مباريات اليوم .

فهتف هاستنجز بحدة :

- لعنة الله على المباريات .. أنا لا ...

- وذلك هو رأيى .. ولكن أليس مما يدعو إلى التأمل أن يكون جميع هؤلاء اللاعبين على جهل تام باللعبة الكبرى التى تقوم فيها بدور البطولة .

- أرجو أن تترك هذه الفلسفة جانبًا .. وتذكر ما عندك من الأنباء .

فابتسم بوارو .. وقال بصوت خافت :

- إن دانى مارتان لم ينم فى غرفته هذه الليلة .. وهناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأنه اعتاد فى الأسابيع الأخيرة أن يقضى الليل كله أو بعضه خارج غرفة نومه .

فنظر إليه هاستنجز بإمعان وسأله :

- كيف علمت ذلك ؟ وما معناه ؟

فأجاب بوارو فى هدوء :

- علمت ذلك من كبير الخدم .. فقد استدرجته إلى الحديث .. أما معنى ذلك ففى استطاعتك أن تذكره إذا تذكرت حقيقة لا شك فيها : هى أن اللورد مارتان وولده قد أقدما على عمل يعتبرانه (أبشع الجرائم) .. وأيضًا إذا تذكرت ما سمعناه أمس فى الغابة أثناء عودتنا .

فحك هاستنجز رأسه وغمغم :

- وماذا سمعنا أمس فى الغابة ؟
- سمعنا شيئًا يشبه حركة آلة كبيرة فى .....
ولم يتم عبارته .. لأنه سمع وقع خطوات نسائية تقترب منهما.. نظرا حولهما .. وأبصرا بكلير كانس .. زوجة الكابتن جورج كانس .
كانت ترتدى فستانًا أنيقًا .. سماوى اللون .. يزيدها فتنة . وتحمل فى يدها مظلة من الحرير الأزرق .
قالت وعلى شفتيها ابتسامة مغرية :
- كنت أرجو أن أجدكما معًا .. فإن عندى ما أحدثكما به .. فهل تسمحان لى بدقيقة ..
فقال بوارو على الفور :
- إننا يا سيدتى العزيزة فى خدمتك دائمًا .
فأجالت البصر حول البهو ثم قالت :
- كلا .. ليس هنا .. فلنذهب إلى (الكشك) القائم وسط الحديقة .. فهناك نستطيع أن نتحدث دون أن يزعجنا أحد .
وسارت فى المقدمة .. وتبادل بوارو وهاستنجز نظرات ذات معنى .. ثم سارا فى أثرها .. واجتاز ثلاثتهم الحديقة .. ودخلوا (الكشك) .. وهناك تهالكت كلير كانس فى أحد المقاعد .. ونظرت إليهما ..
ودهش بوارو للانقلاب العجيب الذى طرأ على سحنتها .. فقد خيل إليه أنها تقدمت فى السن عشرة أعوام خلال الدقائق المعدودة التى انقضت منذ قابلته فى ذلك النهار .
رآها مجعدة الجبين .. غائرة الصدغين .. وفى عينيها نظرة قلق .. وذعر .
قالت بصوت حاد .. كأنه صوت امرأة أخرى :
- سأتحدث إليكما الآن فى صراحة .. وقد يكون من الخطأ أن أفعل هذا .. ولكنى لا أجد بدًا من ذلك .
إننى أعتقد - وكذلك يعتقد زوجى جورج - أنكما تختلفان كثيرًا عن سائر المدعوين فى هذا القصر . وصمتت .. ولم تحول عينيها عن وجه بوارو .
ولكن وجه بوارو ظل هادئًا منبسطًا .. لا تدل تقاطيعه على شىء ..
قالت المرأة فجأة :
- إنكما من رجال البوليس السرى الخاص .. وقد عرفتما السر مصادفة كما عرفناه .. وسعيتما إلى نفس الشىء الذى نسعى إليه .. ويسعى إليه كونج .. أليس كذلك ؟
كانت عيناها تلمعان كشعلتين من لهب .
قال بوارو فى هدوء :
- مهلاً يا سيدتى .. إنك تتسرعين فى ...
فقاطعته بحدة :
- كلا .. لا ضروة لأن يخدع أحدنا الآخر .. إن الوقت لا يتسع لذلك .. أصغ إلى يا مستر بوارو ..أنا أعلم أنك خرجت مع صديقك الليلة الماضية تحت جنح الظلام .
كنت أراقبكما حين ...
فغمغم بوارو :
- كنت تتجسسين ..
فهتفت كلير كانس فى غضب :
- نعم .. كنت أتجسس .. فإلى أين ذهبتما ؟ إلى قصر كونج ؟ أليس كذلك ؟ .. إن زوجى ذهب إلى هناك أيضًا .. ولكنه لم يعد .. انتظرته طول الليل .. فلم يعد ..

وصمتت وهى تلهث .. واغرورقت عيناها الساحرتان بالدموع .
استطردت :
- إذا كنتما تعرفان شيئًا فصارحانى به .. حدثانى بالحقيقة كما يحدثنى بها قلبى .. لقد رجوته .. وتوسلت إليه ألا يذهب ولكنه ضرب برجائى عرض الأفق .. واستهان بالخطر .. وذهب .. إنه مات .. قتله كونج .. أليس كذلك ؟ مات ..
وضعف صوتها فجأة .. واتسعت حدقتاها .. وحملقت نحو الباب .. ورددت فى همس وقد انفرجت شفتاها ذعرًا وهلعًا :
- مات .. مات .. مات .
فتبع بوارو اتجاه نظراتها .. ومرت بجسده رعدة قوية ..
رأى اثنين من خدم القصر يحملان فيما بينهما جثة رجل يرتدى ثياب السهرة .. وأدرك فى الحال أنها جثة الكابتن جورج كانس .
هم بأن يقف بين المرأة وهذا المنظر .. ولكن بعد فوات الوقت .. فإنها رأت .. وفهمت .. ونهضت واقفة ببطء .
قال بسرعة :
- كلا .. كلا .. لا تزيدى الموقف .. آه ..
واحتواها بين ساعديه قبل أن تسقط .. ومددها على الأرض وهو يغمغم :
- لقد أغمى عليها .
ونظر إلى هاستنجز وقال : لقد سألت الله الرحمة لهما .. إذا اصطدما بشارلى كونج .. مسكينة هذه المرأة .. رغم اشتراكها فى محاولة الفتك بالآنسة كلارا درين .. إننى أشفق عليها من كل قلبى لأنها كانت تحب زوجها .
ونظر إلى وجهها الشاحب .. واستطرد :
- يجب أن نمضى فى سبيلنا يا هاستنجز .. فنضع أيدينا على عنق شارلى كونج .. ونكشف سر أبشع الجرائم .. آه .. ها هى .. اركع على قدميك يا هاستنجز ..
فذعر هاستنجز .. وانبطح على الأرض وهو حائر .. وظل كذلك لحظة .. ولما رفع رأسه .. رأى بوارو يطل من باب الكوخ .. وسمعه يغمغم :
- قد فرت اللعينة ..
فسأل هاستنجز بصوت أجش :
- من هى ؟!
- تلك الفتاة الغامضة التى اعتادت أن تغوص فى بطن الأرض كلما وقعت أبصارنا عليها .. آه .. لقد تركت لنا رسالة.
قال ذلك .. واقترب من الجدار المقابل للباب .. وانتزع منه خنجرًا .. ونشر بين أصابعه ورقة كانت تحيط بنصل الخنجر .
وأطل هاستنجز من فوق كتفه .. وقرأ فى الورقة ما يلى :
(لست أعرف غرضكما .. ولكن يجب أن تعلما أن كونج قد عرف حقيقتكما) .
وساد الصمت لحظة .. ثم قال بوارو فى هدوء ورزانة :
- لقد حانت المعركة الفاصلة بيننا وبين جبابرة الإجرام .. إن ساعة الصفر تقترب يا عزيزى هاستنجز .. والويل للمغلوب !!

الفصل الثامن

الغرفة السرّية

كانت كلير كانس لا تزال فاقدة الرشد حين حملها بوارو وهاستنجز إلى القصر ..
ومن حسن الحظ أن الجميع كانوا يتناولون الإفطار فى قاعة الطعام .. فلم يصادفهما غير بريان كبير الخدم .
حملاها إلى مخدعها ..وانطلق هاستنجز إلى غرفة الدكتور روثمان .. ودعاه للعناية بها .
وقصد الصديقان بعدئذ إلى قاعة الطعام .. وقابلهما الكولونيل دانى مارتان بباب القاعة .
كان ممتقع اللون .. غائر العينين .. تبدو على وجهه علامات التعب .
حياهما بقوله :
- طاب يومكما ..
ورد هاستنجز التحية .. أما بوارو فإنه لزم الصمت .
وامتعض الضابط لصمته .. فنظر إليه بحدة .. وسأله :
- هل من جديد ؟
فأجاب بوارو فى هدوء :
- كلا .. لا جديد يتصل بى .. ولكن رأيتك فتذكرت ما قلته منذ يومين عن رغبتك فى ألا يضع رجال البوليس أقدامهم فى هذا القصر ..
- وأية غرابة فى هذا ؟
فسأله بوارو فجأة :
- ماذا فى نيتك أن تفعل فيما يختص بالكابتن كانس ؟
فصعده الضابط الشاب من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ثم قال بصوت أجش :
- اتبعانى ..
وتقدمهما إلى مكتبه .. وأغلق الباب .. وأسند إليه ظهره وراح ينقل البصر بين بوارو وهاستنجز .. ثم سأل الأول :
- ماذا تعلم من أمر الكابتن جورج كانس ؟
فقال بوارو فى هدوء :
- أعلم أنه جريح .. أو قتيل .. فقد رأيت اثنين من خدمك يحملانه .. ورأت زوجته ذلك أيضًا .. وأغمى عليها .
فتنهد دانى مارتان .. وسار إلى مكتبه .. وجلس على حافته .. وقال :
- هذا صحيح .. والظاهر أن الكابتن كانس غادر غرفته تحت جنح الظلام .. وهام على وجهه فى الغابة .. فصرعته رصاصة من يد مجهول .. إنه مات .. وقد وجده أحد رجالى .. فقاطعه بوارو بسرعة :
- هل وجدت جثته فى أرضك ؟
فنظر إليه دانى مارتان بإمعان .. ثم أجاب :
- طبعًا فى أرضى .. إن خدمى لا يسيرون فى أرض الغير .
- هل فى نيتك أن تتصل برجال البوليس ؟
فمرت على شفتى دانى ابتسامة غريبة وقال :
- إننى اتصلت بهم فعلاً .. وسيحضرون بعد قليل . وقد اقترحت استمرار المباريات الرياضية حتى لا ينتشر الذعر فى القصر فوافق رجال البوليس على هذا الاقتراح .
فنظر بوارو إلى أصابعه وقال :
- أظن أن والدك لن يعود اليوم ؟

فأجاب دانى :
- لا أعلم ماذا يحملك على هذا الظن ؟
ثم أردف بلهجة مريرة :
- ومهما يكن من أمر فإن حركات أبى وتصرفاته لا تهمنى بحال .
فساد الصمت لحظة .. ثم قال بوارو فى هدوء :
- هذا رأى عجيب قد تأسف عليه إذا جاءك الآن من يقول لك إن أباك قد مات .
فرفع الضابط رأسه بحدة .. والتقت عيون الرجلين ..
أدرك دانى مارتان الحقيقة التى لمح إليها بوارو .. ولكن ذلك لم يغير من موقفه ..
قال بصوت يقطر مرارة :
- سواء كان أبى حيًا أو ميتًا .. فإن حركاته وتصرفاته لا تهمنى بحال .. ونهض واقفًا واستطرد فى هدوء :
- واسمح لى بهذه المناسبة أن أنصح لك باجتناب التدخل فى شئونى الخاصة .
وقصد إلى الباب وفتحه ثم التفت وقال بلهجة قاطعة :
- والمهم بيننا الآن .. أن المدعوين يجب ألا يعلموا شيئًا عما أصاب الكابتن جورج كانس .. تلك هى إرادة رجال البوليس .
قال ذلك .. وأغلق الباب وراءه بعنف .
ونظر هاستنجز إلى بوارو .. وهمَّ بأن يتكلم .. ولكنه سمع فى هذه اللحظة حركة وراءه .. فحول رأسه .. ورأى كلارا درين تخرج من وراء الستار .

« « «

كانت شاحبة الوجه .. فاتنة فى شحوبها كزهرة الصيف .. اقتربت ببطء .. وقالت ببساطة وهى تجلس على حافة المكتب :
- لقد سمعت كل شىء.. فما معنى هذا ؟ ماذا أصاب دانى ؟ إنه لم يكن كذلك فيما مضى .. لقد تطورت طباعه منذ عاد من الهند .. أو على الأصح منذ استأجر كونج (قصر مورجن) .
وقبل ذلك .. كان التفاهم تامًا بين دانى وأبيه .. كان كل منهما يفخر بالآخر .. فماذا جعل دانى يتكلم عن أبيه بهذه اللهجة التى تنطوى على القساوة ؟!
ونظرت إلى بوارو نظرة ضارعة .. كأنما تتوسل إليه أن يجد حلاً لهذا اللغز الجديد .
أخذ بوارو يسير فى الغرفة جيئة وذهابًا .. ثم وقف أمام الفتاة وقال :
- أصغى إلى يا كلارا .. أنت تحببن دانى .. أليس كذلك ؟ ومازلت تحببنه .. رغم .. رغم غرابة أطواره .
فأجابت بهدوء :
- نعم ...
فقال بوارو بصوت رزين :
- إذن استعدى .. إن دانى سيكون عما قريب فى أشد الحاجة إلى حبك .. وعطفك .. وإخلاصك .. إنك طلبت منى .. ومن صديقى هذا .. مهمة البحث عن متاعب دانى .. وقد عرفنا مصدر هذه المتاعب .. وسنعمل اليوم على إزالتها .. ويبقى عليك بعد ذلك أن ترفهى عنه .. فإن أحدًا لم يلق من معاكسات الأقدار ما لقى هذا الشاب .. ذلك كل ما أستطيع أن أقوله لك فى الوقت الحاضر ..
فنظرت إليه الفتاة .. ولمعت عيناها .. ثم هتفت :
- كفى .. كفى .. يا مستر بوارو .. إن ما قلته الآن يؤكد اعتقادى فى دانى .. إننى على يقين من أنه لم يفعل ما يستدعى الخجل .. إننى على يقين من ذلك .

« « «

خرج هاستنجز من حلبة اللعب بهزيمة منكرة .. وقصد إلى غرفة الملابس وهو يجفف العرق المتصبب على جبينه .

وإنه يهم باستبدال ثيابه .. إذا برجل طويل القامة .. عريض الكتفين .. يقترب من الغرفة .. ويقف ببابها .

ولم يعبأ هاستنجز بالرجل أول الأمر .. ثم لاحظ أنه يريد أن يتزحزح من مكانه .. فاستولى عليه القلق .

وظل الرجل واقفًا بالباب .. وغليونه فى فمه .. وعيناه لا تتحولان عن هاستنجز .

وضاق هاستنجز بنظرات الرجل فقال له :

- هل لك أن تساعدنى على خلع حذائى ؟

فلم يجبه الرجل على الفور بل ظل ينظر إليه ببرود ثم سأل :

- هل أنت مستر هاستنجز ؟

- نعم .. وإنى فى خدمتك ..

- أنا المفتش بيرنـز .. وقد جئت لأقول لك إن مدير البوليس يريد أن يتشرف بمعرفتك فى أقرب فرصة ممكنة .

فأجاب هاستنجز :

- سأذهب إليه فى الحال .. متى تخلصت من هذا الحذاء .

فقال المفتش :

- سأنتظرك .

وانتظر دون أن يتزحزح من مكانه .. أو يرفع غليونه من فمه .. وبعد عشر دقائق كان هاستنجز واقفًا بين يدى مدير البوليس فى مكتبة القصر .

وكانت كلير كانس جالسة هناك على أحد المقاعد .. وهى شاحبة الوجه .. وبيدها منديل تجفف به دموعها .. وكلارا درين بالقرب منها تواسيها .. وتحاول الترفيه عنها .. وبوارو يجلس فى هدوء أمام إحدى النوافذ .. ودانى مارتان يسير فى الغرفة جيئة وذهابًا كالوحش السجين .

ورفع مدير البوليس رأسه بإمعان ثم قال :

- حدث منذ ليلتين يا مستر هاستنجز أن كانت الآنسة كلارا درين تسير فى دهاليز القصر .. فتسممت فجأة .. بطريقة غامضة وسقطت على الأرض .. فهل هذا صحيح ؟

فأجاب هاستنجز :

- نعم ..

- ماذا تعلم عن هذا الحادث ؟

- كل ما أعلمه أننى كنت وقتئذ فى غرفة صديقى مستر هركيل بوارو .. فسمعنا صوت سقوطها .. وأسرعنا لنجدتها .. ودعونا الدكتور روثمان ..

فقاطعه الطبيب بقوله :

- نعم .. هذا صحيح ...

فسأله مدير البوليس :

- هل تذكر يا مستر هاستنجز أنك أو مستر بوارو قد رأيتما الآنسة كلارا درين .. أو تحدثتما إليها قبل الحادث مباشرة ؟

- فتردد هاستنجز .. ووجد نفسه فى مأزق .

ترى هل تكلم بوارو .. أو تكلمت كلارا درين وذكرت الحديث الذى دار بينهما وبين الفتاة قبل الحادث ؟

نظر إليهما .. ولكنه لم يستطع أن يتوصل إلى شىء .
وكان دانى مارتان قد كف عن السير فى الغرفة ووقف فى انتظار الجواب ..
قال هاستنجز :
- كلا ..
وأدرك فى الحال أنه كان موفقًا .. لأنه رأى وجه كلارا درين قد انبسطت أساريره .
سأل مدير البوليس :
- هل لديك أى فكرة عن الشخص الذى سمم هذه الآنسة .. أو عن غرضه من تسميمها ؟
- كلا ..
والتقت عيناه بعينى كلير كانس .. ورأى فيها نظرة شكر وامتنان ..
قال مدير البوليس ببطء :
- إذن ليس ثمة ما يثبت أن الاعتداء على الآنسة كلارا درين .. وقتل الكابتن كانس هما من تدبير شخص واحد .
ثم التفت إلى الكولونيل مارتان وقال وهو ينهض واقفًا :
- مما يؤسف له يا سيدى الكولونيل أن والدك ليس هنا لكى ...
فقاطعه دانى بأن قال بذلك الصوت المفعم بالمرارة :
- نعم .. هذا مما يؤسف له ..
- والآن .. أعتقد أنه من الضرورى أن تستمر المباريات كالمعتاد بشرط ألا يبرح اللاعبون هذا القصر بعد انتهائها .. فقد أضطر إلى إلقاء بضعة أسئلة أخرى .
وانصرف مع المفتش بيرنـز بعد أن عبر عن سعادته البالغة بلقاء البوليس السرى الشهير هركيل بوارو .
وتأبطت كلارا ساعد كلير كانس .. وخرجت معها .
وتبعهما الدكتور روثمان ..
وقصد بوارو إلى الباب .. فسار هاستنجز فى أثره ظنًا من أنه ينوى الانصراف بدوره .. ولكن بوارو لم ينصرف بل أغلق الباب بعناية .. ووضع المفتاح فى جيبه .. ونظر إلى دانى مارتان ..
هتف الضابط الشاب فى غضب :
- هل لى أن أسأل عن معنى هذا ؟
فاقترب منه بوارو ببطء وقال :
- أصغ إلى يا دانى .. إننى أعلم بكل شىء .. وبودى أن أساعدك .. بل يجب أن أساعدك .. سواء رضيت أو لم ترض . لأننى وعدت الفتاة التى تحبك .. فهل تقبل مساعدتى يا دانى أم يجب أن أرغمك على قبولها ؟!
فكشر دانى عن أنيابه .. ولمعت عيناه بوحشية .. وصاح فى غضب :
- تبًا لك ..
وأهوى بقبضة يده على وجه بوارو .. ولكن بوارو أحنى رأسه بسرعة .. وحمل الضابط بين يديه .. وطرحه أرضًا .. وركع على صدره .. ورفع كمه .. وغرز إبرة فى ساعده ..
ومرت فى جسد دانى رجفة شديدة .. وغاب عن صوابه .
حدث كل ذلك .. بسرعة البرق .. وهاستنجز جامد فى مكانه لا يكاد يصدق حواسه ..
هتف أخيرًا :
- يا إلهى .. ما معنى هذا ؟!
فأجاب بوارو ببساطة :
- هذه حقنة استعرتها من الدكتور روثمان لهذا الغرض ..

- هل جننت يا رجل ؟

فلم يجب بوارو .. بل أسرع إلى درع فولازى قائم فى أحد الأركان .. فركع بجانبه .. وأحاطه بساعده .. وزحزحه قليلاً .

وفى الحال .. تحرك جانب من الجدار الذى يستند إليه الدرع .. وانشق عن منفذ يؤدى إلى غرفة مظلمة !!

وقال بوارو :

- هلم .. أمسك بقدميه يا هاستنجز .

وتعاونا على نقل دانى مارتان إلى تلك الغرفة المظلمة .. ورد بوارو الدرع إلى موضعه فتحرك الجدار .. وعاد إلى حالته الأولى .. وحجب تلك الغرفة السرية .

وتنفس بوارو الصعداء وقال :

- هل عرفت الآن ماذا كنت أفعل فى المكتبة فى صباح اليوم؟

لقد كنت أبحث عن كتاب أو أوراق خاصة تتضمن رسم هذا القصر وتاريخه .. كنت على يقين من أن هناك غرفة سرية اعتاد دانى مارتان أن يقضى فيها الليالى التى يغيب فيها عن مخدعه .

- هل كان يقضى لياليه فى هذه الغرفة ؟

- بل كان يقضيها فى مكان آخر يتفرع من هذه الغرفة !!

الفصل التاسع

السرداب الخفى

حاول هاستنجز بعد الغداء أن يستدرج بوارو إلى الإفصاح عن معلوماته ونواياه .. ولكن بوارو لم يزد على قوله :

- أصغ إلى يا عزيزى هاستنجز .. إن لديك من المعلومات والأدلة ما يكفى لاستنباط الحقائق .. وبحسبك أن تذكر قصاصات الورق التى التقطناها .. وانتحار اللورد مارتان فى (قصر كونج) .. والعمل الذى يعتبره دانى مارتان (أبشع الجرائم) لكى تعرف ما وراء الستار .

وثمة شىء آخر لا أرى مانعًا من أن أحدثك به .. وذلك هو أن آل مارتان يقومون بعمل غاية فى الدقة والخطورة فى غرفة سرية سأذهب بك إليها هذه الليلة .

وأكثر ظنى أنهم كانوا يشعرون بأن (كونج) يتأهب لمهاجمتهم فنظموا المباريات الرياضية خصيصًا دفعًا لشره .. ظنًا منهم بأنه لن يجرؤ على مهاجمتهم ما دام القصر غاصًا بالناس .. ولكن (كونج) لم يكف عن الاستعداد .. وأعتقد أنه سيقوم الليلة بالهجوم .

فهتف هاستنجز وهو لا يكاد يصدق أذنيه :

- مع وجود رجال البوليس فى القصر .. هذا غير معقول !!

فأجاب بوارو :

- إن البوليس لا شأن له بكونج .. وكونج لا شأن له بالبوليس .. وسيقع الهجوم فى جو آخر لا يشعر به غير أولئك الذين يعرفون بواطن الأمور .

- إننى لا أفهمك يا بوارو ..

- سوف تفهمنى .. عندما تهب العاصفة .. وتشتد ..

وكأنما أرادت الطبيعة أن تؤيد ظنونه واستنتاجاته .. إذ قصف الرعد فجأة .. وشق البرق كبد السماء .

وتعطلت المباريات الرياضية لاكفهرار الجو .. وهطول الأمطار بشدة .

وأوى اللاعبون إلى غرفهم فى وقت مبكر .. وانتهى النهار بسلام .. وهبط الظلام .

ولما انتصف الليل .. انقطع هطول الأمطار .. وهدأت الريح .. ولكن السماء ظلت ترعد وتبرق .

سأل بوارو وهو يمشى فى غرفته جيئة وذهابًا بخطوات سريعة تدل على القلق والانفعال :

- كم الساعة الآن يا هاستنجز ؟

- الساعة الثانية عشرة وخمس دقائق .. ياالله يا بوارو .. إنها ليلة هائلة .

فأجاب بوارو فى هدوء :

- سوف يزداد هولها .

وصمت حتى تلاشى دوى الرعد .. ثم سأل :

- هل أعددت مسدسك ؟

- نعم ..

- حسنًا ..

وفتح الباب فى حذر .. وأطل منه ..

كان السكون شاملاً .. فيما عدا زمجرة الطبيعة فى الخارج .. والأنوار الكهربائية تضىء كل ركن فى الدهليز ..

أطفأ بوارو أنوار الدهليز .. وأخذ يهبط درجات السلم فى هدوء .. وتبعه هاستنجز ..

ولكنهما ما كادا يتوسطان السلم .. حين ومض البرق فجأة وبدد الظلام لحظة ..

وكانت هذه اللحظة كافية لأن يرى بوارو رجلاً ينصت عند أسفل السلم .

كان هذا الرجل هو المفتش بيرنز .. وقد رآهما كذلك .. ثم تلاشى البرق .. وساد الظلام ..

وفى اللحظة التالية .. سمع هاستنجز ضجيج معركة عند أسفل السلم ما لبثت أن انتهت بسرعة .

وأضاء بوارو مصباحه الكهربائى .. فرأى هاستنجز المفتش بيرنز على الأرض فاقد الوعى .

همس بوارو :

- أسرع يا هاستنجز ..

وحول ضوء المصباح إلى الجدار .. ثم أمسك بساعد هاستنجز .. وقصد إلى باب المكتبة .

وكان الباب مفتوحًا .. فدخلا .. وزحزح بوارو الدرع الفولاذى من مكانه كما فعل فى الصباح فتحرك جانب من الجدار .. وكان دانى مارتان لا يزال ممددًا على الأرض فاقد الرشد من تأثير المخدر .. ولكن بوارو مر به دون أن ينظر إليه .. ودفع بالمصباح الكهربائى إلى هاستنجز .. وسار إلى قطعة من الخشب ناتئة من الأرض فى أحد الأركان فأمسك بها بيديه .. واجتذبها بقوة .. فعاد الجدار إلى مكانه ..

وجفف بوارو العرق المتصبب على جبينه .. وركع بجانب الكولونيل دانى مارتان وهمس :

- اقترب بالمصباح يا هاستنجز .

فأطاع هاستنجز .. ولمس بوارو جفن الضابط الشاب .. وجس نبضه .. وقال وعيناه تتألقان :

- إنه فى خير حال ..

وتناول المصباح من يد هاستنجز .. ونفذ من باب فى الغرفة يؤدى إلى سرداب ضيق منخفض .وقال وهو يتقدم ببطء :

- إذا قرأت تاريخ هذا القصر العتيد .. كما هو مسجل فى أحد المجلدات الموجودة بالمكتبة .. إذن لعلمت أن الملك شارل الأول نفسه قد استخدم هذا السرداب عند فراره من أكسفورد .. وكان (قصر مورجن) فى وقت ما ملكًا لأسرة مارتان .. وكان هذا السرداب يصل بين القصرين .

وواصلا السير فى جو مليء برائحة العفونة والرطوبة .. إلى أن وقف بوارو بغتة وقال :

- قد وصلنا .

ومد يده إلى الجدار .. وحرك زرًا فسطعت الأنوار الكهربائية فى المكان ..

قال بوارو :

- هنا اعتاد اللورد مارتان ولده أن يقضيا الليالى التى لا يقضيانها فى القصر ..

ونظر هاستنجز حوله .. فرأى غرفة من الحجر .. متوسطة المساحة .. قد تبعثرت فيها طائفة كبيرة من أدوات النجارة والحدادة .. وقطع الخشب والفولاذ .

ورأى فى أحد الأركان دولابًا خشبيًا .. ومحركًا كهربائيًا ضخمًا .. ثم وقع بصره فى ركن آخر على خزانة حديدية من طراز حديث .

قال بوارو :

- لقد كان هذا السرداب - كما قلت لك - يصل بين القصرين مارًا تحت البحيرة .. والظاهر أنه تهدم فى الجانب الآخر .. فأقام اللورد مارتان هذا الجدار الحجرى ليكون بمثابة سد فاصل بين شطرى السرداب .. واتخذ من هذه الغرفة مصنعًا لمزاولة تجاربه العلمية .. والآن هل فهمت سر الحركة الآلية التى سمعناها بالقرب من البحيرة ليلة أن اقتحمنا (قصر كونج) ؟

فحملق هاستنجز فى وجهه وأجاب : كلا .. لم أفهم ..

- إن ذلك الصوت الذى سمعناه هو صوت آلة وضعها كونج فى ذلك البناء الغريب الذى شيده فى الجزيرة .. لكى يعيد حفر السرداب المتهدم .. ويصل إلى هذه الغرفة .

- آه ...

- أما الصوت المحزن الغامض .. فإنه من جهاز وضعه كونج هنالك لكى ينذره إذا اقترب أحد الفضوليين من البحيرة .. ولا بد أننا لمسنا سلكًا .. أو شيئًا له اتصال بذلك الجهاز .. فانبعث الصوت .. وما يقال عن هذا الصوت المحزن الغامض .. يقال كذلك عن الضوء الأزرق الخاطف الذى رأيناه .. فهو أيضًا إحدى الوسائل لإنذار كونج فيما إذا تعطل جهاز الصوت.. وفى استطاعة كونج أن يرى هذا الضوء حتى وهو جالس فى قصره .

فدهش هاستنجز وقال : إذن فإن من المنتظر فى كل لحظة أن يقتحم (كونج) هذا السرداب .

فأجاب بوارو :

- إنه لن يجد فرصة للعمل بنشاط وجرأة أفضل من الفرصة التى تتيحها له هذه الليلة العاصفة .. ولكنه إذا فعل ذلك فإنه سيجدنا على استعداد لاستقباله بما يليق بأمثاله من جبابرة الإجرام .

قال ذلك .. وقصد إلى الخزانة .. ومس قرصها بأصابعه .. أما هاستنجز .. فإنه وقف أمام الجدار الذى يسد السرداب فى وجه كونج وراح يفكر فى أفضل وسيلة للفتك برجال كونج حين يهجمون .

الفصل العاشر

المعركة الأخيرة

فجأة سمع هاستنجز نقرًا خافتًا فأرهف أذنيه .
تكرر الصوت فهتف :
- هل سمعت يا بوارو ..
فرفع بوارو رأسه .. ولكنه لم يجب ..
كان يفحص طائفة من الأوراق وجدها فى الخزانة .
واستمر النقر بانتظام .. وأخذ يرتفع .. ويدنو ..
هتف مرة أخرى :
- ألا تسمع ؟
فدس بوارو الأوراق فى جيبه .. وقال وهو يضغط على ساعد هاستنجز :
- هلم بنا نتوارى .
واختفى وراء المحرك الكهربائى الكبير .. وحذا هاستنجز حذوه .
وانقضت بضع دقائق .. وذلك الصوت يتضخم ويقترب .
لم يكن ثمة شك فى أنه صوت سقوط فأس على جدار حجرى .
وأخيرًا اهتز الجدار بعنف وانهار أحد أحجاره .
وانقطع صوت الفأس .. وسمع الصديقان همسًا خافتًا .. ثم استؤنفت عملية الهدم وتساقطت الأحجار بسرعة .
وحدثت ثغرة تتسع لمرور إنسان .
قال صوت من الجانب الآخر :
- ادخل ..
فوثب من الثغرة رجل فى ثياب العمال .. لم يتبين بوارو وجهه ..
ووثب فى أثره رجل آخر قصير القامة .. صغير الجسم .. أصفر البشرة .. مشعث الشعر .. يضع على عينيه عوينات مستديرة .
كان هذا الرجل هو (شارلى كونج) .

« « «

نظر كونج حوله بهدوء وبرود .. ثم التفت نحو الثغرة وقال :
- هاتوا الفتاة ..
فنفذ من الثغرة رجل ثالث .. يحمل بين ساعديه فتاة مكممة الفم .. موثقة اليدين والقدمين ..
كانت ترتدى ثوبًا أبيض .. وفى شعرها وردة بيضاء ..
عرف فيها بوارو تلك الفتاة الغامضة التى وجدها فى بيت كونج .
كانت شاحبة اللون .. وشعرها القصير مضطربًا .. وعيناها الغامضتان تنظران إلى كونج فى ذعر .
قال كونج :
- ضعها على المقعد ..
فأطاع الرجل ..
وأرسل كونج بصره إلى الثغرة التى فى الجدار وصاح بلهجة الأمر :
- ادخل ..
فوثب من الثغرة رجل آخر ووقف الرجال الثلاثة خلف كونج بينما هذا يصعد الفتاة بعينيه السوداوين الضيقتين .. وعلى شفتيه ابتسامة غامضة ..

قال لها بصوت مرتفع :
- سيجدك القوم ميتة هنا غدًا .. سيجدونك غريقة فى الماء الذى سأطلقه الليلة من البحيرة على هذا السرداب .. ولن يظن أحد أن لى إصبعًا فى غرقك .. لقد بعثت بك (المخابرات) للكشف عن أسرارى .. وكنت بارعة حين التحقت بخدمتى كسكرتيرة .. ولكنى عرفتك وعرفت غرضك منذ اللحظة الأولى .. أليس كذلك يا (رقم س 4) ؟!
فلم تأت الفتاة بحركة .. ولم تحرك عينيها عن وجهه .
واستطرد وهو لا يزال يبتسم :
- إننى واثق من أنك ما زلت تجهلين الأسرار التى أرسلتك المخابرات لكشفها .. ولكن سأشبع فضولك النسائى .. وسأحدثك بكل شىء قبل أن أفتك بك ..
إننى - كما ترتاب المخابرات البريطانية - رجل واسع الخبرة فيما يتعلق بالاختراعات الحربية الحديثة .. ولكنى أعمل لحسابى الخاص من أجل الربح فحسب .
وقد اخترع اللورد مارتان - وهو كما تعلمين من كبار مهندسى البواخر - طائرة مائية حربية عجيبة ، وعرض اقتراحه على حكومته .. ولكن المفاوضات بينهما استغرقت وقتًا طويلاً .. ولم يتم بالسرعة التى كان يرجوها اللورد .
وقد نقل إلى رجالى نبأ هذا الاختراع .. وعلمت أن اللورد مارتان يعانى أزمة مالية بسبب الكساد فى صنع البواخر .. فعرضت عليه مائة ألف جنيه - سندات وأوراقًا مالية - ثمنًا لاختراعه .. وهو ثمن متواضع كما تعلمين .. وكان غرضى أن أبيع سر الاختراع للدولة التى تدفع أبهظ ثمن ممكن .
كان فى استطاعتى أن أساوم الحكومات على مهل وهو ما لا يستطيعه اللورد مارتان لحاجته الملحة إلى المال .
ووافق اللورد على هذه الصفقة .. وقدم إلىَّ الرسم الوحيد الموجود لتصميم الطائرة .. ثم حدث أن عاد الكولونيل دانى من الهند غداة إبرام الصفقة .
ودانى مارتان جندى شجاع .. مخلص لوطنه .. شديد الحساسية فى كل ما يتصل بشرف أسرته .. وقد كان من رأيه أن أباه إذا باع اختراعه لدولة أجنبية .. فكأنه قد باع وطنه . وذلك فى نظره (أبشع الجرائم) .
وكان من نتائج الحوار بين الأب والابن فى هذا الصدد .. أن امتنع الأب عن إعطائى مفتاح السر .. أعنى التفصيلات الكتابية المسهبة التى توضح الرسم .
وفعل الابن أكثر من ذلك .. إذ حمل أباه على رد المبلغ الذى قدمته إليه .. ولكنى رفضت قبوله .. وأكبر ظنى أن هذا المبلغ موجود هنا فى هذه الخزانة مع التفصيلات الكتابية المسهبة التى جئت الآن خصيصًا للاستيلاء عليها .
ذلك كل ما يهمك معرفته يا جاسوستى الحسناء .. ولكن قبل أن أفتك بك أحب أن تكونى على يقين من أننى لم أحضر إلى هذا السرداب عبثًا .. وأننى أعرف دائمًا أين أضع قدمى .
قال ذلك واقترب من الخزانة الحديدية .. وتبعته الجاسوسة الحسناء بعينيها البنفسجيتين الساحرتين .
وركع كونج على ركبتيه أمام الخزانة .. وساد فى المكان صمت عميق .
صاح كونج بصوت حاد :
- إن الخزانة مفتوحة ..
ودس يده فى جوف الخزانة .. وراح يبحث ويفتش بسرعة .. ثم وقف ببطء .. وقال والغضب يعصف بكيانه .. والجنون يلمع فى عينيه :
- إننى فتشت قصر مارتان .. وبحثت عن سر الاختراع فى كل قاعة من قاعاته .. ولكن بغير

جدوى .. ثم علمت بوجود هذه الغرفة ولم أستطع الوصول إليها عن طريق القصر .. فقضيت الأسابيع الطويلة فى حفر هذا السرداب لكى أصل إليها .. وأنا واثق من أننى سأجد فيها ضالتى .

وقد أقدمت فى هذه الأثناء على كل ما يمكن عمله للحصول على مفتاح السر .. فهددت اللورد مارتان بالعار والفضيحة .. ولكنه ضرب بتهديداتى عرض الأفق .. فاختطفته ثم اتخذته رهينة حتى يقدم إلىَّ ابنه مفتاح السر .. ولكن الأب أصيب من الابن بعدوى الكبرياء والشهامة .. وآثر الانتحار .

وقد جئت أخيرًا إلى هذا المكان .. وأنا واثق من أننى سأجد فيه بغيتى .. ولكن بعضهم سبقنى إلى هنا ..

وانفجر فجأة غضبه الهائل بصورة وحشية .. فانقض على الفتاة وهو يقول :

- أما أنت فيجب أن تموتى ..

ورأى هاستنجز فى يده مسدسًا .. وأيقن أنه لن يتردد فى ثورة غضبه ويأسه من إفراغ رصاصه فى جسد الجاسوسة الصغيرة الحسناء .. ورفع يده بحركة لا شعورية .. وضرب مسدسه من وراء المحرك الكهربائى .. وأطلق النار .

وبسط كونج ساعديه .. ثم دار حول نفسه .. وسقط على الأرض ..

ووثب بوارو وهاستنجز من مخبئهما .. وصوبا مسدسيهما إلى الرجال الثلاثة .

قال بوارو بصوت يرن رنين الفولاذ :

- لقد مات كونج .. لقد مات هذا القاتل الذى يتجر بآلات الدمار والقتل .. وبموته قد زال آخر أثر للصفقة التى وصفها دانى بأنها (أبشع الجرائم) .

إننى لست من رجال الشرطة وسأطلق سراحكم .. ولكن يجب أن يبقى ما حدث فى طى الكتمان ..

إن مفتاح السر فى جيبى .. وسأرده إلى الكولونيل دانى مارتان يصنع به ما يشاء .. أما هذه الآنسة .. فإنها بدورها ستكتم السر لأنها تعلم أن اللورد مارتان قد كفر عن الخطيئة التى أقدم عليها فى ساعة ضيق .

وسمعت جاسوسة المخابرات هذه العبارات .. فلمعت عيناها .. وأطرقت برأسها .

وفى هذه اللحظة شعر بوارو بحركة فحوّل رأسه .. ورأى الكولونيل دانى مارتان واقفًا بالباب .. وهو شاحب اللون .. متألق العينين ..

قال الضابط الشاب بصوت أجش :

- هل معك مفتاح السر يا مستر بوارو ؟

فلم يجب بوارو .. بل أخرج من جيبه ملفًا ضخمًا دفعه إلى دانى فتناوله .. ثم أخرج (ولاعة) السجائر .. وأشعلها .. وقرب الشعلة من الملف وهو يقول :

- إننى كجندى مخلص يعرف واجبه تمامًا أعلم أن وطنى أحق بهذا الاختراع من الدول الأجنبية .. ولكن من خير البشر ألا يكون هذا السلاح الخطر ملكًا لأى دولة حتى لا يستخدم فى القتل والدمار ..

واشتعلت النار بالغلاف ..

وراح الضابط الشاب يتأمل وجوه الموجودين جميعًا ..

ثم استطرد :

- هذا الملف يحتوى على تفاصيل الاختراع .. بالإضافة إلى السندات والأوراق المالية التى دفعها شارلى كونج لأبى .. إننى سعيد بالتخلص منها .

وظل الجميع ينظرون إلى الأوراق حتى احترقت كلها .. وأصبحت مجرد رماد .

« « «

وكان من رأى بوارو أن يوفر على نفسه المضايقات المأثورة أثناء تحقيق الحوادث التى وقعت .. فاقترح على هاستنجز القيام برحلة فى البحر الأبيض المتوسط ترويحًا للنفس .. وتخفيفًا للآثار المزعجة لهذه المغامرة الرهيبة .

« « «

وفى صباح اليوم الذى اعتزما فيه الإبحار بالباخرة (كولونيا) قرأ بوارو فى إحدى الصحف خبر زفاف كلارا درين إلى الكولونيل دانى مارتان.. وخطوبة الدكتور روثمان لكلير كانس .

وقد دهش هاستنجز للفقرة الثانية من الخبر وقال :

- مسكين روثمان .. إنه اقترن بامرأة حسناء .. ولكنها أشبه بالوحش المفترس !!

فابتسم بوارو وقال :

- من سوء حظه أنه لم يتمكن من رؤية الجاسوسة الحسناء .. إن جمالها الصاعق من النوع الذى يشل تفكير خلايا المخ الرمادية يا عزيزى هاستنجز !!

« تمـت